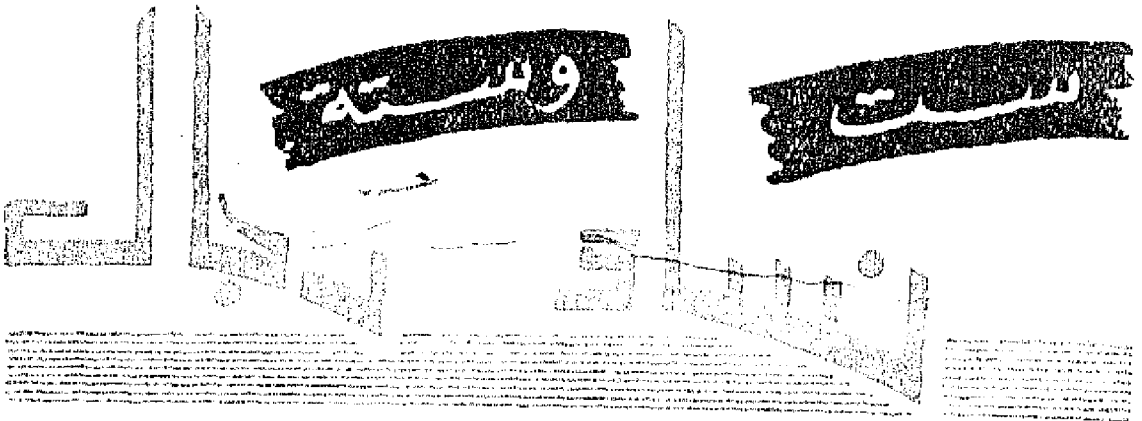




بيت السباعي



للبروف

أطيفاف

الناشر: دار التوزيع والطباعة والنشر
طبع في شركة فن الطباعة
الناشر: مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٧
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥١

الناشر: دار التوزيع والطباعة والنشر
طبع في شركة فن الطباعة
الناشر: مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٧
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥٢

نائب عزرائيل

الناشر: مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة
الناشر: مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٨
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥٠

اثنتا عشرة امرأة

الناشر: دار النشر العربية
طبع في دار الاحد بيروت : لبنان
الناشر: مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٨
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥١

خبايا الصدور

الناشر: مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة
الناشر: مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٨
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥٠

يا أمة ضحكك

الناشر: مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة
الناشر: مكتبة الخانجي
طبع في شركة فن الطباعة

الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٩
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥١

اثنا عشر رجلا

الناشر: مكتبة النهضة
طبع في مطبعة السعادة الكبرى
الناشر: مكتبة النهضة
طبع في مطبعة مصر

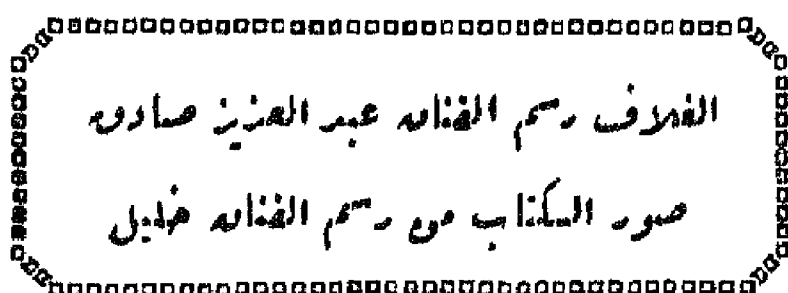
الطبعة الأولى
سنة ١٩٤٩
الطبعة الثانية
سنة ١٩٥٢

أرض النفاق

الناشر : دار الفكر العربي طبع في شركة فن الطباعة	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩	في موكب الهوى
الناشر : دار الفكر العربي طبع في شركة فن الطباعة	{ الطبعة الثانية سنة ١٩٥١	
الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩	من العالم المجهول
الناشر : دار الفكر العربي طبع في شركة فن الطباعة	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠	هذه النفوس
الناشر : دار الفكر العربي طبع في شركة فن الطباعة	{ الطبعة الثانية سنة ١٩٥١	
الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠	إلى راحلة
الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{ الطبعة الثانية سنة ١٩٥٢	
الناشر : دار الفكر العربي طبع في مطبعة الاعتماد	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠	مبكي العشاق
الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠	بين أبو الريش وجنينة ناميش
الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥١	أغنيات
الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥١	أم رتيبة
الناشر : دار الفكر العربي طبع في شركة فن الطباعة	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥١	هذا هو الحب
الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥١	صور طبق الأصل

بين الأطلال	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ }	الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة
السقامات	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ }	الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة
سُمار الليالي	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ }	الناشر : دار الفكر العربي طبع في مطبعة الاعتماد
الشيخ زعرب	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ }	الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة
نفحة من الإيمان	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ }	الناشر : دار الفكر العربي طبع في مطبعة الاعتماد
وراء الستار	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ }	الناشر : نادي القصة طبع في مطبعة روز اليوسف
ست نساء وسمة رجال	{ الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ }	الناشر : مكتبة الخانجي طبع في شركة فن الطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



الله

إلى « يسا » و « اسماعيل »

لكل منهما « نصف رتبة »

نصف الرتبة

إليكم ست نساء وستة رجال . . . تتممة للإثنتي عشرة امرأة والاثنى عشر رجلاً . وبقية من هؤلاء وهؤلاء لم يتسع لها الكتابان السابقان .
وإني لأذكر عقب ظهور كتاب اثنتي عشرة امرأة أن كتبت الدكتور ابنة الشاطيء في نقد الكتاب تقول ما معناه إنه كان أولى بي أن أقصر كتابي على الرجال لأنني كرجل أدري بفهم مشاعرهم وتحليل نفوسهم ، وأنه كان يجب أن أترك الكتابة عن النساء لواحدة منهن لأنها أعرف بخباياهن وأعلم بأحاسيسهن .

وصحت حينذاك . . . ولم أحاول المكابرة وقلت لنفسي . . . من يدري . . . ربما كانت على حق . ثم أصدرت بعد ذلك كتاب اثني عشر رجلاً . فأقرته في نقدها .

وكان الأولى بي بعد هذا ألا أعود إلى الكتابة مرة ثانية عن النساء وألا أتبع الاثنتي عشرة بـست آخر . ولكني مع ذلك غامرت بإصدار كتابي هذا . . لأنني أشعر في نفسي أنني قد أكون أكثر فهماً للنساء من أنفسهن ، وأن التجارب تجعل من الرجل أحياناً امرأة تنعكس عليها صور النساء فتبديهن أكثر وضوحاً من الأصل . بل إن المرأة نفسها لا أظنها — بغير انعكاسها على رجل — تصبح شيئاً حياً جياشاً بالأحاسيس ، مفعماً بالمشاعر . وقصة المرأة . . لا تكون

إلا والرجل في حناياها ، وكذا قصة الرجل لا تنسج إلا والمرأة سداها . فإن
كتبت عن ست نساء فأنا أكتب ضمناً عن ستة رجال .. وإن كتبت عن
سنة رجال فلا أظنني أستطيع أن أمنع ستة النساء من التسلل وحشر أنفسهن
بين السطور .

وثمة شيء آخر شجعتني على الكتابة عن النساء . . وهو أن الدكتورة ابنة
الشاطي نفسها . . كتبت إلي رسالة خاصة بعد أن قرأت إني راحلة تقول :
إنها كانت تعتقد فيما سبق كتابتي عن النساء وإفراطي في الكتابة . . ولكن بعد
قراءتها لهذا الكتاب وجدت أني أستطيع أن أكتب عنهن كما أشاء . وأن أفرط
في الكتابة كما أشاء .

وبعد . . أترك الحديث للخدمة الجديدة تتحدث عن نفسها .

والسلام عليكم ورحمة الله . م

يوسف السباعي



للمؤلف

تحت الطبع

تمثيلات قصيرة

ساكنة الحنايا

فديتك يا ليلى

أساطير الأولين

موتة لله

تطلب كتب المؤلف من :

مكتبة النهضة المصرية ، ودار الفكر العربي ، والخانجي بالقاهرة .

• النهضة السودانية بالخرطوم .

• المثني ببغداد .

• دار المعارف ببيروت .

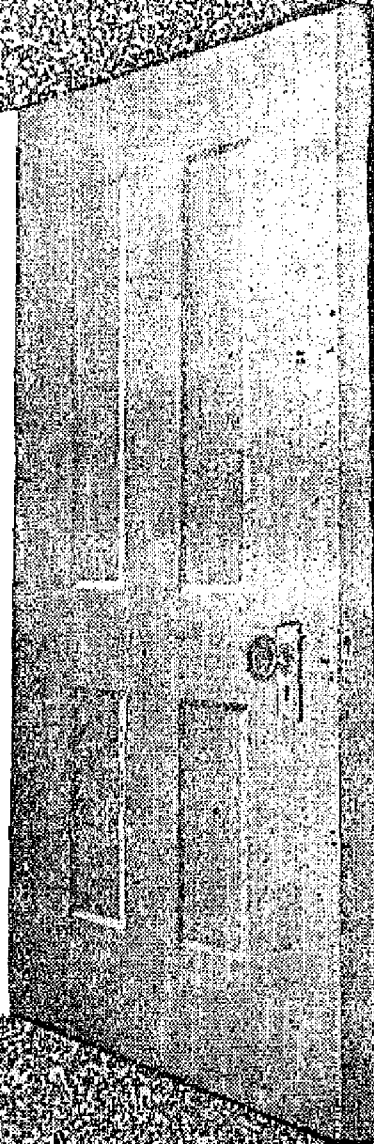
• اليقظة العربية بدمشق .

• الكتاب بالدار البيضاء .

مكتبة الثقافة بمكة المكرمة

امرأة سقروك

أجل يا أخت الروح ، لقد كنت
نبيلة ثرية أرسقراطية في بلد
المظاهر والغرور . . وكنت أديب
بين الناطقين بالاضاد .
ألم أقل لك . . كنت في السماء . .
وكنت في الأرض ؟



ودع الصبر محب ودعك

ذائع من سره ما استودعك

أما الصبر يا توأم الروح فقد استعصى وتعذر .

يوم وليت .. ولي .. وساعة ودعت ودع .. وما عاد

يغنى عن فرقتك صبر ، أو يفيد في بعدك عزاء .

أما السر الذى استودعتك .. فبرغمى يا حبيب يذاع .

أنا إن كتمت فى نفسى الجوى .. وحبست فى صدرى

اللوعة .. فما أستطيع كتم أنفاس تستعر ، وزفرات تلتهب .

إذا حبست الدمعة فى المآقى ، انطلقت الآهة من

الحنايا ؛ وإذا حبست الآهة .. انسابت الدمعة .

وكيف أعيش يا حبيب الروح بعدك بغير آهة ، وبغير

دمعة ؟

السر الذى استودعتك .. ذائع يا حبيب برغمى ..

تم عنه الآهة ، وتفضحه الدمعة .. وبين الدمعة والآهة ،

يتملبل اللسان ويتلف على أن يفضى به ويبوح .

وبين التملبل واللففة .. اتركه ينطلق .

أفلا أقل من عود إلى الذكرى !! هى عزاء إلى حين !؟

لقيتِكَ يا حلوة وبيننا ما بين السماء والأرض . . أنت
في السماء ، وأنا في الأرض . . مجازاً وفعلاً . . أى والله . .
كل الظروف التي أحاطت بنا في أول لقاء ، جعلتك سماوية
وجعلتني أرضياً .

كنت تذبوئين إحدى مقصورات سباق هليوبوليس ،
كما يذبوا القمر أريكة السماء . . ووجدت بينك وبين القمر
شبه شديد . . إذا أشرق أحدا لم ينافسه في سمائه كوكب ،
تنساب منه الأشعة رطبة ندية ، تغرق العباد بنور بلا حر ،
ونشوة بلا خمر .

وكنت أنا من عباد الله الذين يتقاسمون النور ويتشاركون
النشوة ، قانعين ناعمين ، متجولين في الأرض . . أرض
السباق الحافلة العامرة ، غادين رائحين بين « بادوك » الخيل
وبين مدرجات السباق ، حائرة عيونهم . . بين الجهاد وبين
الخرد الغيد

وهكذا كان أحدنا في السماء ، والآخر في الأرض . .
شكلاً ووضعاً وفعلاً . . أما مجازاً فقد كان بيننا أبعد مما بين
السماء والأرض .

كنت نبيلة ثرية أرسقراطية بكل ما في تلك الكلمة من
معان . . وكنت . . ماذا كنت ؟

ماذا أقول ؟ .. وأنا ما عرفت في يوم من الأيام
من أكون ؟

كاتب وأديب ؟

لو كنا في غير هذا البلد ، لقلتها بملء فمى ، ولا انتظرت
أن يحنى لى الناس هاماتهم تحية وإجلالا .. أما هنا والأديب
المجرد لا يعرف كيف يأكل عيشه .. أما هنا والبلد يعترف
بالجزار والبدال واللعاد والكناس ، كأصحاب مهن ..
ولا يعترف بالأديب .. أما هنا والأديب لا يحسر أن
يكتب على بطاقته « أديب » ، فكيف أقول إني أديب ؟
ومع ذلك فلا مناص من الاعتراف بها .

لأننى فعلا .. لست سوى ذلك .

أجل يا أخت الروح ، لقد كنت نبيلة ثرية أرسقراطية
فى بلد المظاهر والغرور .. وكنت أديب بين الناطقين
بالضاد

ألم أقل لك .. كنت فى السماء .. وكنت فى الأرض ؟
وكان أحرى بى فى ذلك اليوم ، أن أنصرف عنك كما
انصرفت من قبل فى كل مرة لحتك فيها من بعد .. وأن
أنشد لنفسى ذلك القول الذى أعزى به عنك نفسى كلما
لقيتك :

« لا ترفعاً أنصرف عنك ولا كبرياء ، ولا جحوداً
عن حسنك ولا جفاء .. بل إن جبار اليأس قد خرج
بفؤادى عن دائرة نفوذك وعلا به على بسطة سلطانك .
أيتها الغادة : كل ما فى الوجود يذوب فى ألحاظك إلا
يأسى فإنه كالثلج الجامد على رأس الطود تغازله أشعة الشمس
طول الأبد فلا يشعر .

وقفت منى على قيد خطوتين وبينى وبينك ما بين إبليس
والرحمة .. فكأننا نجمان تجاورا فى عين الناظر وبينهما بعد
السماء عن الأرض وكأنك تنظرين إلى ميت ، يفصلك عنه
الوقت ، والوقت ما لا يقدر .

كان حرياً بى أن أنصرف عنك بهذا القول ، لولا أن
أتاح الله لى من رفعتنى من وهاد الأرض إلى علياء السماء ..
فإذا بى أجد نفسى فى غمضة عين أجلس بجوارك .
لقد صعدت إلى السماء .. بغير فعل خارق ، لا موت ،
ولا معجزة .. بل كانت المسألة أبسط مما أتصور .

رأيت فى مقصورتك زميل قديم من أبناء الذوات ..
كان يجاورنى فى إحدى سنوات الدراسة ، ورفع يده لى محياً
عندما التقى بصرانا وأشار إلى بالصعود .

ولم أتردد ثانية رغم ادعائى الترفع والإباء ، واحتقار

هذه الطبقة من أبناء الذوات . . بل شققت طريقى بين
الأجساد المتراسة حتى وصلت إلى المقصورة .

وتصافحنا ودعاني إلى الجاوس فلبيت الدعوة وقام بدور
التعارف بينى وبينك ، فأحيت رأسك إحناءة تكاد لا تحس
ومنحتنى نظرة بطرف عينيك .

ومع ذلك فما أحسست بخذلان ولا ضيق ، فقد كان
جاوسى على مقربة منك كاف لى يجعلنى أغض الطرف
عن كل إهمال منك أو إعراض .

كنت أحس بنشوة ممتعة ، نشوة أطاحت بذلك اليأس
الذى كان يخيم على نفسى كلها لقيتك أو نظرت إليك .

وانتهى شوط السباق الدائر وقتذاك والذى كان يسترعى
كل التفاتك ، والذى جعلك تلقينى بذلك الإهمال
والإعراض لقطعى عليك استغراقك فى مراقبته ، ثم
وجدتك تضعين المنظار بجانبك وتصفقين بيديك طرباً . .
وتلفتين إلينا صائحة وقد استخفك الطرب :

— برافو . . هذه أول مرة أكسب فى هذا الموسم ، لقد
كان حظى سيئاً من أوله ، ولكن هذا الكسب سيعوض
لى كل الخسارة السابقة ، فما من أحد قد لعب هذا الحصان ،
إنه « أوستيدر » ، ويبدو لى أن الريال سيأتى بعشرة جنيهات .

ثم نظرت إلىَّ ووجهت لى الحديث :
— إن وجودك سبب لى حظاً سعيداً .. يجب أن
تبقى معنا إلى نهاية السباق حتى أستمروا فى الرجى .
وكان الأمر الطبيعى أن يسعدنى قولك هذا ، ولسكنى
— وأنا مخلوق غريب لا أفهم نفسى فى كثير من الأحيان —
وجدتنى أصاب منه بضيق .

وقد يكون السبب الأول لهذا الضيق هو أنك قلت كل
حديثك باللغة الإنجليزية الجيدة السليمة النطق .. أما السبب
الثانى فهو إحساسى بأننى أصبحت عندك مجرد تعويذة تجلب
لك الحظ .

أما عن السبب الأول فقد ضايقتنى لأنه سبب لى يأساً
جديداً ، فقد وجدت سلاحى الوحيد الذى كنت آمل فى
أن أغزوك به ، وهو سلاح التفوق فى الكتابة والأدب ،
قد فل وأصبح لا يجدى معك .. فقد أدركت من لهجتك
فى الإنجليزية ، أنك لا تستطيعين الحديث بالعريسة .. بله
قراءة أديها .

وأنا رغم ماقلت عن ضياع قيمة الأدب فى هذا البلد ،
شديد الاعتداد بنفسى — على الأقل فيما بينى وبين نفسى —
كأديب .. شديد الغرور ، شديد الثقة ، أحترم نفسى



ككاتب أكثر مما احترمها كأي شيء آخر - وقد يكون
هذا هو ديدن كل كاتب وأديب - وأشعر دائماً أن سلاحى
الأول فى التفاخر والزهو هو كتابتى وأدبى ، رغم أنها أشياء
لا تقدر كثيراً فى هذا البلد .

وهكذا خذلت عند ما وجدت أن بينك وبين أدبى
حجاب كثيف من جهلك باللغة العربية ، ولم يعد لدى أى
أمل فى أن تكونى قد قرأت لى ، أو سمعت بى .
أما عن ضيقى لأنى شعرت أنك قد جعلتني تعويذة ،
فقد كان مرجعه أيضاً إلى ذلك الغرور الذى أحسه فى
نفسى . فرغم يأسى منك وإحساسى بالمدى الشاسع بينى
وبينك . . كنت أود - إذا ما التقينا - أن تجدى فى
ميزة فى الشكل أو فى الخلق أو فى الثقافة ، أكثر من ميزتى
كتعويذة تجلب الحظ .

وبعناد الحمقى المغرورين ، وجدتني أنهض لأنصرف . .
ورغم إلحاحك علىّ بالبقاء صممت على مغادرتك مدعياً أنى
على موعد .

وتركت السباق سائراً على قدمى وسط آلاف العربات
المكدسة أمام الميدان .

وعندما خلوت لنفسى بعد ذلك ، عجبت لما فعلت واتهمت

نفسى بالجنون .. كيف تلحين علىّ بالجلوس معك فأرفض ؟
كيف يحدث منى هذا ، وأنا الذى لايسعدنى فى الحياة
أكثر من نظرة إليك من بعد ؟ وماذا ضايقتى منك ؟ !
حديثك بالإنجليزية ؟ وما ذنبك ، وأى جريمة فى ذلك ؟
وماذا أغضبنى من قولك أنى جلبت لك الحظ ؟ ! ألم
يكن هذا خيراً من أن تقولى أنى جلبت لك سوء الحظ ؟
وماذا كنت أنتظر منك ؟ أتستبقينى لأن جمالى قد
سحرك . وأنت لا تطيقين فرقتى ؟

ياى من غر أحرق مأفون ؟ لقد أضعت فرصة العمر ؟
وقضيت ليلتى حزيناً يائساً ، وظلمت مغرقاً فى الضيق ،
حتى ظهر اليوم التالى عندما تبين لى أن فرصة العمر لم تضع
بل هى مقبلة مؤكدة ، فقد أنبأنى صاحب الجريدة التى أعمل
بها أنه قد وصلته دعوة لإحدى حفلات الفروسية وسألنى
أن أذهب مندوباً عن الجريدة .

ولم أتردد فى القبول ، فقد كنت أعلم أن مثل هذه
الحفلات لاتفوتك ، ووجدت الفرصة قد تسنح للقائك ،
والحديث معك .. لاسيما وأنتك بلا شك ما زلت تذكرينى
من لقاء الأمس وتذكرين أنى أجلب لك الحظ .

واقيتك هناك وأسعدنى الحظ بالجلوس بجوارك فى حفلة

الشأى التى أقيمت فى النهاية . . ودار بيننا الحديث فعرفت
من أنا وماذا أعمل ، ولم تبخل علىَّ ببعض كلمات الإعجاب
بالأدب والأدباء رغم أنك لم تقرئ لى .

ولا أكذبك القول .. إن هذه الجلسة بيننا كانت بداية
إحساس جديد لك فى قلبى ، فقد تبينت خلال الحديث معك
أنك مخلوقة متواضعة لطيفة ذكية رقيقة .

وقلت لى إنك قرأت رباعيات الخيام بالإنجليزية . .
وأنك ترغبين فى قراءتها بالعربية . . فوعدت بإحضارها
إليك .

وهكذا بدأت الصلة تتوطد بيننا بواسطة عمر الخيام ،
فقد أحضرت لك الترجمة العربية ، ولكنك لم تفهمى منها
حرفاً واحداً ، فتطوعت بقراءتها وشرحها لك .

وبدأنا جلساتنا فى خلوات ممتعة هنيئة ، خلوات ملؤها
الشاعرية والأوهام اللذيذة والحلم الجميل وأخذت أشرح لك :

غرد الطير فنبهه من نعس

وأدر كأسك فالعيش خلس

سل سيف الشمس من غمد الغلس

وانبرى فى الشرق رام أرسلا

أسهم الأنوار فى هام القلاع

وأقبل كل منا على صاحبه بلهفة ونهم . . أنا بالقراءة
والشرح واستراق النظر إلى وجهك الساحر الوضاء . .
وأنت بالاستماع والشرود والذهول .

وكنت أسير في طريق حبك بسرعة العاصف . . حتى
بلغت نهايته . . وبدأ لي أنك لاشك سائرة في نفس الطريق
وأنا سالتقى في النهاية ويفضى كل منا بمشاعره الآخر .

ولكنك نسكصت على عتبيك فجأة قبل أن تبلى النهاية .
لست أدري لم ؟

أتراك لم تنظري قط إلى المسألة على أنها مسألة حب
جاد وأنت كنت تتسليين بي وبالخيام . . وأنت كنت تضييعين
بعض الوقت في شيء جديد عليك ، وأنت سرعان ما مللتيه ؟

هل كنت لديك مجرد نوع من التغيير ؟
الله وحده أعلم .

أما الذي أعلمه . . فهو أنك بدأت تخلفين المواعيد . .
وبدا لي أنك تهربين من لقاءى .

وأخذت — بدافع الحب الجنونى — ~~الحب~~ في الرجاء
وألح في محاولة اللقاء ، حتى صدمت منك صدمة ردتني إلى
صوابى وأعادت إلى كبريائى وذكرتنى بكرامتى .

كان ذلك في حفلة ساهرة طال بنا السهر فيها . . حتى

رأيتك لأول مرة . . ثملة تترنحين . . وسمعتك تصيحجين بي
ساخرة :

— لم لا تثقل علينا بأشعارك أيها الأديب ؟
ثم التفتت إلى الجمع الصاخب ، وأردفت بنفس اللهجة
الساخرة :

— هذا الأحمق المسكين كان يحاول أن يوقعني في حبه
بقراءة الشعر . . تصوروا هذا . . تصوروا . . أني أحب هذا
المغرور الساذج .

ولست أذكر أني ضربت امرأة في حياتي قط . . حتى
ولا خادمة . . . ولكنني وجدت مراجلي تغلي بالغضب . .
ووجدت كل ما بي من حلم وهدوء ورقة طبع يتبدد فلا
يضحى له أثراً .

ولم أشعر إلا ويدي ترتفع وتهبط على وجهك الجميل
النيل بصفعة مدوية .

وغادرت المسكان مرتجفاً من الغضب تاركاً الجميع
مغرقين في الصنمت والدهش ، وعند ما وصلت إلى البيت
ارتيمت على الفراش منهاراً . كنت أشعر بحزن شديد . .
فقد عزت على نفسي أن تهان بين طبقتك العالية الوضيعة . .
العالية إسمياً ، الوضيعة فعلاً . .

لقد كنت أشعر أنى المسئول عما حدث فقد كان أولى
بى ألا أزج بنفسى فى وسطك الفاسد المغرور .. وأن أربأ
بها عن الهوان بين هؤلاء الرعاء المخنشين .

يا للحمق والغباء ١١٩ .

كيف صورّ لى الوهم .. أنك شاعرة مرهفة الحس ..
وكيف أضعت وقتى فى قراءة ما قرأت وشرح ما شرحت ؟
ومرت الأيام بعد ذلك وأنا أحاول تضميد جراحي ..
جراح القلب المطعون .. والكبرياء المهيشنة ..

وحاشى أن أزعّم أنى ضمدت جراحي ببساطة .. وأننى
لفظتك بسهولة .. أو لفظ النواة ..

لقد كانت عملية نسيانك واحتمال هجرك شاقة مضنية ..
ولكنى تحملتها بجلد .. حتى كدت أنساك ..

ولكنك عدت تنكسين الجرح .. وترسلين لى مع
بعض الأصدقاء من يخبرنى أنك تودين رؤيتى .

وبدا لى أنك تحاولين الثأر .. وأنت مصممة على رد
الصفحة التى هويت بها على خدك النبيل فى تلك الليلة .. فلم
أرد أن أعطيك الفرصة .. وصممت على ألا ألقاك قط ..
وعادت الوساطة فى الرجاء .. فزادت بى الشكوك

وأيقنت أنك لا بد معدة العدة لرد الصنفعة . فزدت إلحاحاً
في القطيعة .

لقد كنت أعتبر كل ما بيننا قد وصل إلى نهايته وأنه
لا فائدة في أن آمل في مثلك خيراً بعد ما كشفت عن
نفسيتك .

وبلغني بعد ذلك أنك مريضة وأنت تطلبين أن أحضر
لك رباعيات الخيام لأقرأها لك .

وضحكت ساخراً .. ورددت علي من أبلغني بذلك الرد
الشهير الساخر « تاني ؟ ! ! » .

لقد كنت مصمماً على أن أقلب حبي لك كرهاً .. وكنت
أحس أني أفلحت في ذلك .

حتى وصلتني منك رسالة .. قلبت مشاعري رأساً على
عقب .. فتحت الرسالة فإذا بها مكتوبة بالإنجليزية وإذا
بها ما يلي :

....

أعذرني إذا ما كتبت إليك بالإنجليزية .. فاني أريد
أن أكتب لك أشياء دقيقة .. لا أظنني أستطيع أن أعبر
عنها باللغة العربية .. وليس الذنب ذنبي إذا لم أستطع

ذلك .. بل ذنب أولئك الذين علموني .. وجعلوني بطريقة
تعليمهم أشبه بأجنبية غريبة في بلدي ...

أجل .. إن الذنب ليس بذنبي .. وليس أدل على
ذلك من أن تعرف أنه عندما ترك لي الأمر .. أني أقبلت
على قراءة العربية ... وأنني رغم ضآلة معلوماتي فيها .. قد
قرأت جميع مؤلفاتك بها .. وليس أسهل عليّ من أن أثبت
لك ذلك ... فأسرد لك رأيي فيها وملاحظاتى عليها .

ولكن لا أظن هذا وقته ... بل يكفي أن تصدقني
وتثق في قولي .. وإلا ذهب كل كلامي سدى .. وضاعت
محاولتى أدراج الرياح .

إنى أريد منك الثقة بي وتصديق كل ما أقول .

ولن يزيد ما أقول عن بضع كلمات :

إنى أحبك .. وأريد أن أراك .

راقدة كما أنا مسجاة على فراش المرض .. وبحوارى
كوم مكسد من كتبك التى التهمتها واحداً .. واحداً ..
وأنا التى كنت أكاد لا أقرأ الصحف والمجلات .

راقدة .. متعبة .. منهكة الأعصاب .. خائرة القوى ..
قد ألح على المرض .. لا يكاد ذهنى يذكر سواك ..

ولا تكاد عيني — مفتوحة أو مغمضة — تبصر غيرك .

لست أدري كيف حدث لي .. هذا ؟

أهي كتبك .. وطريقة تفكيرك .. وفيض مشاعرك ؟ .

أهو المرض الملح الذي تركني أشبه بالهرعي ؟ .

أهي الذكريات الحلوة الهادئة الشاعرية ؟ .

أم تراها الصفعة التي أدميت بها نخدي وأعدتني بها إلى

صوابي ؟ .

لست أعتب عليك .. فقد تقصادمت مرحلة العتاب ..

وبات كل ما أحسه لك .. لهفة عليك .. وحنين إليك .

لقد صنعت مني مخلوقة جديدة .. أو أعدتني إلى معدني

الطيب وأزلت من نفسي شوائب الوسط الخبيث الذي

أحيا فيه .

نفسك الطيبة ، وخلقك القويم ، وكتابتك العجيبة ،

وصفعتك وهجرتك ... كل ذلك صهرني وطهرني .

إني أحبك .. وأريدك .. لنبدأ معاً عهداً جديداً .

ولا أظنك تخذلني .. وأنت الرفيق الكريم .. بعد

كل ما قلت لك .

أرجوك .. تعال ..

ولم أخذلك .. فقد صفحت عنك وسعيت إليك بعد
أن أذابتنى رسالتك . ولكنك أنت التى خذلتينى فرحلت .
قبل أن أصل .

لقد أودت بك العلة ، فلم تمهلك حتى أراك .

لقد تعجلت الرحيل يا منية النفس . فلم تنتظرى حتى
تسمعين استغفارى وتبصرين ندمى على عنادى وعلى
هجرى .. لقد دعوتنى للبحى .. فماذا كان عليك لو انتظرت
وصولى ؟

فيمَ التعجل .. يا حلوة الروح .. وأنت الداعية للهنى
المتشوقة ؟

وإلى أين يحملونك هؤلاء القساة الغلاظ الأكباد ؟
أهكذا بت لا أملك لك إلا خطوات قصار ...
أسيرها وراءك وسط هذا الحشد من الباكين ؟

أهكذا لا يملك عابذك إلا جلسة صامئة أمام قبرك ..
يكنتم لوعته ويحبس دمه .. ثم يعود فى بهمة الليل كالأشباح
السارية مستغفراً نادماً .. يحرقه الشوق .. ويلهبه الأسى .
يقرع السن على أن لم يكن زاد فى تلك الخطا إذ شيعك



لمرأة مخدوعة

أهكذا تنطشأير المباديء
والاخلاص ، في غمضة عين ، أمام
جسد حار وجيفة تننة ؟
أهكذا الرجال كلهم كالكلاب
مهما حسن نوعهم وكرم أصلهم ..
لا يتورعون عن أن يدسوا أنوفهم
في أقرب كوم للقمامة بلوح لهم ؟

مِجِرَى الْعَزِيزِ

من مجيرى من يأس قاتل ونخلان ميمت ؟ .
إني أكتب إليك ، وبجسدى رجفة وبقلبي حرقة ..
ولا أدري وأنا أكتب ، لم أكتب ، ولا ماذا سأكتب ..
ولكن يبدو لى أن الكتابة قد تسكت الرجفة وتطفىء
الحرقة ، ولو إلى حين .

دعنى أسألك .. سؤالاً يدور فى رأسى ، ويلح على
نفسى . سؤالاً .. يخيل إلى أنى على الإجابة عنه يتوقف
تقرير مصيرى وتغيير حاضرى ، واختيارى للسبيل الذى
سأسلكه فى مستقبل حياتى .

أجبنى بصراحة . أجبنى كرجل .. مجرد رجل .. دع عنك
فلسفة الكتابة ، ودع التعقيد والالتواء .. قل لا ، أو نعم .
هؤلاء الرجال . . هل كلهم من نفس المعدن الخبيث ،
والطينة القذرة . . ؟

لا تثر ولا تغضب فتندفع لتدافع عن جنسك .. الجنس
الوضيع الحقيير .. الوالغ فى كل إناء ، الناهش من كل جيفة ،
الشارب من كل مستنقع قذر ، الطماع الخداع ، الخائن الأشمر .
لا تندفع فتقول لا .. ولا تصيدك الحمية فنزد

على سبابي بأقذع منه . . فما قصدت به سباباً . . بل هو مجرد وصف . . لم أجد خيراً منه . . لأصور نظرتي إلى جنسكم . . الجنس السافل !

قبل أن تجيب إستمع إلى قصتي ، وأفهم لم أسأل سؤالاً إلى هذا . . ؟ وتأكد إنني لا أتمنى في حياتي شيئاً أكثر من أن تجيب بلا . . وأن تقول لي . . إنه مازال على الأرض من بين هؤلاء الرجال من هو أطيب معدناً وأنقى طينة وإن هذا هو كل ما بقي لي من أمل في الحياة ، ورجاء في المستقبل .
تبدأ قصتي بداية عادية جداً كما تبدأ قصة كل زوجة . .
رزقها الله - كما يقولون - بالعدل . . ووفقها إلى زوج طيب .

ولست أريد أن أضيع الوقت في سرد تفاصيل لأشك في أنها ستنتطبق على المئات ، بل الألوف ، من الزوجات غيري . . والتي لا أظنها تعطيني طابعاً مميزاً ، ولكن يبدو لي أن من الخير أن أعطيك كروكياً سريعاً يعينك على تقدير موقعي وفهم مشاعري .

أنا ابنة أحد موظفي الحكومة . . موظفاً يعتبر إلى حد ما كبيراً . . وإن كان دخله إذا ما قورن بعدد أفراد أسرته الغنية بالأبناء لا يكاد يجعل منها أكثر من أسرة

متوسطة تقطن في شقة بالإيجار ، وتصرف الدخل عن آخره
بين الملابس ومصاريف المدارس ، واللحمة والخضار .

وكان سوقنا - أنا وأختي - في الزواج رائجا . . فقد كنا
نتمتع بكل مواهب الزواج من سمعة حسنة ، ومظهر جميل ،
وعائلة طيبة ، وأب ذى مركز محترم .

وهكذا تسربنا ، مع العرسان ، الواحدة تلو الأخرى ،
وخرجت بدورى مع رفيق العمر تاركة دار أبى إلى حيث
أضحيت أنا نفسى ربة دار .

ولا أكتمك القول . . إنى لم أر فى زوجى فى بادىء
الأمر ما يسمونه قى الأحلام ، ولم يصادف منظره هوى فى
نفسى ، ولكنه مع ذلك كان - على بعضه - مقبولا . . وكانت
بجموعة مزاياه لاتدع مجالا لفتاة مثلى فى التردد فى قبوله .

كان شاباً ذا شهادة عليا وذا عمل حكومى يتناسب مع
شهادته . . متوسط القامة ، نحيل الجسم ، أسمر البشرة ، ليس
به ما يلفت وليس به ما ينفر . . بادى الهدوء والسكينة ،
أميل إلى الصمت والإطراق والحياء . . وعند ما سأل أبى
عنه أنبىء بأنه نموذج لحسن السير والسلوك .

هكذا كان زوجى عندما قررنا قبوله . . وعندما خرجنا
من الدار معاً لنبدأ حياتنا المشتركة . . ولم أكن وقتذاك

أحس بفرحة مطلقة . . بل كانت فرحتي قلقة متشككة مما
يخبئه لي الغد المجهول ، وكان يتمسكني شعور المطبقة بيدها
على « بخت » توشك أن تفتحه لترى مابه . . لا فرق بيني
وبينها سوى أني كنت أنتظر الأيام لتفتح لي بختي . . وتريني
أي مخلوق قد ساقه القدر إلى الأشد نفسي معه . . وأقرن
حظي بحظه ، ومستقبلي بمستقبله مدى الحياة .

وبدأنا الحياة معاً ، في شقة في إحدى عمارات مصر الجديدة
القائمة على أطرافها والتي لا تزيد شققها على ست أو سبع . .
وأخذنا ننسق الأثاث في الغرف ونرص الأصص في الشرفات
حتى بدت الشقة المتواضعة ذات الثلاث غرف وكأنها قصر
منيف ، وأحسست فيها بحلاوة الاستقرار والهدوء .

ومرت بي الأيام تحمل لي مزيداً من هدوء ومزيداً من
استقرار ، وتكشف لي البخت المخبأ . . يملؤني رضا وهناء . .
وبت أشعر أنني امرأة موفقة سعيدة الحظ . فقد وجدت
في زوجي إنساناً لا تقطع المرأة في خير منه .

لقد غير الزواج نظرتي في الزوج . . فقد كنت — وأنا
فتاة — أرى الزوج المثالي في رجل طويل القامة ، عريض
الصدر ، حلو التقاطيع ، جذاب الملامح . . كنت أراه خليطاً
محبباً من نجوم السينما . يملك عربية فخمة يجلسني فيها بجواره .

ويحملني بها كل يوم لنجوب الطرقات حتى يستقر بنا المقام
في بقعة خلوية نتناجى فيها ونتبادل أحاديث الهوى . . ثم
يعود بي في النهاية إلى فيللتنا الأنيقة المليئة بالخدم والحشم .

تلك كانت أوهامى ، وأنا فتاة أحيا على عذب الأوهام .

فلما تزوجت علّمتني التجربة أن أوهامى كانت عبث صبية
وأرّنتني أن الزوج المثالى شيء آخر لاصلة له بما كنت أتخيل ،
وإنه لا ضرورة هناك لأن يكون عريض الصدر ممدود
القامة ، ولا ضرورة أن يكون صاحب عربة أو صاحب
قبلا ، بل أهم من ذلك كله . . أن يكون شريكا جيدا .

إن الزوج المثالى هو الشريك الذى يقوم بنصيبه فى
الشركة الزوجية خير قيام . . ولا أظن هناك شركة يمكن أن
تفلح أو يقوم لها بناء على غير الحب والوفاء والثقة المتبادلة ،
وحسن التفاهم .

إن الزوجة بعد الزواج لا تتأمل كثيرا تقاطيع زوجها ،
ولا تقضى الساعات فى قياس طوله أو عرضه . . ولكنه
يسعدها جداً أن يدخل عليها الزوج ببسمة حلوة ووجه
بشوش . . وأن يشعرها أنه لم ينس التوافه التى طلبتها منه ،
وأن ينظر إليها بعين الرضا . . كأن الأرض لم تنبت
خيراً منها . .

يسعد الزوجة أن يكون هناك توافق في المبادئ بينها وبينه . . . وأن يكون هناك تماثل في الطباع . . . وأن يحب ما تحب ويكره ما تكره .

إن الزوج المثالي هو الذى يجعل من زوجته وبيته بغيته فى الحياة . . . والذى يشعر مخلصاً أنهما خير ما يسبب له السعادة والهناء . . . فهو يقصدهما قريراً راضياً .

الزوج المثالى هو الذى لا يفور ولا يشور لتوافه الأمور ، والذى يتغاضى عن هنات الدار ويلتمس الأعذار . هكذا أضحي الزوج المثالى فى نظرى . . بعد أن تزوجت . وهكذا أيضاً كان زوجى .

أفلا يحق لى أن أحمده الله وأن أعتبر نفسى امرأة سعيدة الحظ . . ١٩

ومن طبيعة الإنسان فى هذه الحياة . . أن يتعود منها الشيء الطيب حتى يضحي لديه غير ذى قيمة . . وأن يتعود النعمة فلا يعود يحس بها نعمة . . بل يراها أمراً طبيعياً . . ولا يعود يشعر منها بلذة النعمة . . ولا يفكر قط فى أن يحمد الله عليها . . بعد أن اعتادها حتى نسيها .

ولكنى لم أكن كذلك . . لا لميزة فى عن بقية البشر . . بل لأنى كنت أجد دائماً ما يذكرنى بما أنا فيه من نعمة ،

فلم أعتدها ولم أنسها قط .

إن المقارنة هي الأصل في إحساسنا بالمتعة أو الشقاء ،
فتنحن إذا أحسنا بالشبع ثم رأينا كل من حولنا شعبان
لم نحس كثير متعة . . وإذا أمسكنا رغيفاً ووجدنا مثله في
يد كل إنسان . . لم نشعر بميزة الرغيف ، ولكنتنا إذا ملكنا
الرغيف ورأينا الناس حولنا يتضورون جوعاً ويتلهفون
على الكسرة . . . أحسبنا بنعمة الرغيف . . وعرفنا قيمته .
إن ثوب البفطة الذي نرتديه قد نحس به نعمة . . وقد
نحس به نقمة . . وقد لا نحس به . . إنا نراه نعمة لو خفضنا
البصر إلى غيرنا من الحفاة العراة ، ونقمة لو رفعنا البصر إلى
لابسى الخبز والديباج . . ولا نحس به أبداً لو نظرنا إلى
سوانا من لابسى البفطة والدمور .

ولقد كنت دائماً أحس . . أنى كاسية وسط عراة . .
وريانة بين ظمأى . . كنت أحس أننى وحدى صاحبة
الرغيف . . وغيرى يتضور جوعاً . . أو يتعلل بالفتات .
كانت الظروف المحيطة بى تبعثنى على أن أحسد نفسى
فقد كانت إحدى أختى تقضى معظم حياتها غصبي فى منزل
أبيها ، فقد كان زوجها إنساناً نفوراً عصياً سخيفاً (نكدياً) ،
أما الثانية فقد استقر بها المقام فى بيت أبى فعلاً . . بعد أن

أبت العودة إلى زوجها ، لفرط إدمانه على الخمر والميسر ،
ولأنه لا يعود إلى داره إلا قبيل الفجر .

ولم يكن هذا وحده هو مستوى المقارنة الذى أقيس
إليه حياتى الزوجية الهادئة الناعمة القريرة . . بل كان هناك
مستوى أقل منه انخفاضاً وأكثر سوءاً ، وهو مستوى
الجيرة التى أعيش فيها ، أو على وجه أدق قاطنى العمارة
التي أسكنها .

كانت الأسرة الأولى من الأربع أسر التى تقطن
العمارة : تقطن الشقة الأولى من الطابق الأول ، وكانت
تتكون من قاض وامرأته . . وأشك كثيراً فى أنهما كانا
متمتعين بأى نوع من السعادة الزوجية والهدوء المنزلى .
وكانت الأسرة الثانية تقطن فى الشقة المواجهة . . وربها
مدير مستخدمى إحدى الوزارات . . وهو متهم دائماً من
زوجته — إن صدقاً وإن كذباً — بأنه يوشك أن يتزوج
امرأة أخرى .

أما الأسرتان الباقيتان ، فإحدهما تقطن أمامنا فى
الطابق الثانى والأخرى تقطن فوقنا فى الطابق الثالث .

كانت إحدهما ، وهى التى تقطن أمامنا ، مكونة من محام
شاب يمت إلى زوجى بصلة قرابة . . وزوجه لعبوب براءة

فاتنة . . تميل بسليقتها إلى الخلاعة والتبهرج .
ولم يكن هناك رجل من أهل العمارة لا يبادلها البسمات
والتحيات سوى زوجي . . فقد كان يشمئز من مرآها . .
وكان يود لو استطاع أن ينصح قريبه حتى يردعها أو يطلقها ،
فقد كان يراها وصمة في جبين العائلة وجرثومة فتاكة .
ولكني كنت أصدده عن رغبته وأرجوه ألا يتدخل
فيما لا يعنيه .

كنت أقول له هذا . . عن اعتقاد جازم . . فقد كنت
أحسن النية بالمرأة ، حتى بدأت أحس ذات يوم بأنها جادة
في عبثها . . وأن هناك علاقة بينها وبين رب الأسرة التي
تقطن أعلانا وهو طبيب ضابط .

وفي ذات يوم أقبل زوجي على البيت وقد تجهم وجهه
وبدا كأن في صدره ثورة تعتمل وغضباً يستعر . . وسألته
عما به فأجاب بلا شيء . . ولكنني رأيت أنه يجاهد في كبت
غضبه . . فألححت عليه .

وأخيراً وضح لي الأمر قائلاً إنه قد تأكد بنفسه أن
زوجة قريبه امرأة سوء . وأنه لا يستطيع الصبر على عبثها
ولا يطيق أن يدعها تجعل من الدار مأخوراً وتلوث شرف
زوجها الغبي الحمار .

ولم يكن ميعاد حضور زوجها قد حل ، فقد كانت الساعة السابعة مساء ولم يكن يحضر قبل العاشرة . . ووجد زوجي أن خير فرصة ينتهزها لتوجيه نصيحته للمرأة العابثة هي هذه الساعة . . فذهب يطرق باب الشقة .

وكان أقصى ما أخشاه أن يتهور زوجي في غضبه . . فإنه رغم هدوئه وحلوه وسعة صدره . . كان إذا غضب نسي نفسه . . وخرج عن وعيه .

وبدأت أندم على تركه يزج بنفسه فيما لا يمكن أن يعود عليه إلا بالشر . . مالنا ولغيرنا ! !

ثم هناك أمر آخر . . أليس من المحتمل أن يعود زوجها فجأة . . فيندفع زوجي في غضبه ويقص عليه جلية الأمر .

ومن يدري ربما ثار زوجها فقتلها وقتله وقتل نفسه . وأخذت الوسوس تصطبخ في رأسي .

وتمسكني على زوجي قلق شديد . . وخيل إلي أن غيبته قد طالت ، ووجدتني أندفع مكروبة لاهثة لأطمئن عليه . وطرقت الباب طرقة خفيفة فلم يجب أحد . . ووجدت أن الباب غير مغلق بالمزلاج ، فدفعته دفعة خفيفة فانفتح ، ودخلت إلى الصالة وأنا في غمرة من القلق والاضطراب .

ووقفت في منتصف الصلاة الخالية . . أدير البصر يمينا
ويسارا دون أن أجد أحداً . . وزادت في نفسي الوسوس .
ووجدتني أندفع بلا إرادة إلى أقرب حجرة إلى فافتح
بابها وأدلف منه .

ولا أظنني أستطيع قط أن أصف لك مبلغ دهشى
وارتياعى وأنا أقف في الحجرة أحلق في المنظر الذي
رأيت فيها .

لقد رأيت آخر ما يمكن أن يخطر على بالي .
رأيت الإثنين وقد ضمهما فراش واحد .
من يصدق هذا . . ؟

زوجي الأمين الطيب الوفي ، الذي كان يشمئز من المرأة ،
والذي كنت أخشى عليه من أن يقتلها من فرط كرهه لها . .
ينهار أمامها بمثل هذه السرعة ؟

أهكذا تتطير المبادئ والإخلاص . . في غمضة عين . .
أمام جسد عار وجيفة نثنة . . ؟ !

أهكذا الرجال ياسيدي كلهم كالكلاب . . مهما حسن
نوعهم وكرم أصلهم . . لا يتورعون عن أن يندسوا أنوفهم
في أقرب كوم للقمامة يلوح لهم .

إني أكتب إليك من بيت أبي ، فإني لم أستطع أن أبقى

لحظة واحدة مع الرجل الخائن الغادر .
إني أحس بأن أملى في الحياة قد ذرته الرياح ، وأشعر
أن كرامتي قد خدشت ، بل سحقت .
وإني مصممة على طلب الطلاق . . مصممة على ألا
أعود إليه قط .
ولكن يطوف بذهني بين آونة وأخرى ذلك السؤال
الذي سألتك إياه في مبدأ الأمر :
أكل الرجال كذلك ؟ من نفس المعدن الخبيث والطينة
القدرة . . ؟

أجب بصراحة .
أهناك أمل - فيما لو انفصلت عن زوجي - أن أصادف
بين الرجال من هو أطيب عنصراً ؟ أهناك رجاء في مستقبل
أفضل . . أم أنكم كلكم كذلك .
أجبنى ياسيدى . . أكلكم كذلك ؟

المخلصة

(. . .)

* * *

سيدتي العزيزة
أجل . . كلنا كذلك .
كلنا تماماً كما وصفت . . نفس المعدن الخبيث والطينة

القدرة . ماذا أقول لك . . وقد رأيت أن زوجك المثالى ،
الذى قلت عنه كل ما قلت . . قد تهاوى عند أول تجربة
ألقي به فيها ؟

أنا لا أعرف بالضبط ماذا فعلت به المرأة . . ولا
ما نوعها . وإن كنت أستطيع أن أخمن ، وأستطيع بناء
على التخمين أن أجزم ، بأنى أنا أو غيرى ، ما كنا نستطيع
المقاومة . . لو كنا مكان زوجك ، وإن كان ذلك لا يمنع
من أن نكون أشد من زوجك حذراً . . فلا نترك الباب
مثلاً غير مغلق بالمزلاج .

يجب أن تعلمي أن أمثال هذه المرأة التى أوقعت زوجك
كما أوقعت غيره . . هى أشبه بالسبيل الذى يشرب منه كل
عابر سبيل . . أو بالطوبى الملقاة على قارعة الطريق يقرعها
كل سائر بقدمه . . فلا يكاد يتجاوزها حتى ينساها (اللهم
إلا إذا كان غاوى طوب) .

عودى إلى زوجك يا سيدتى . إن كل ما يجب عليك
عمله هو أن تتركى الدار الموبوءة وتبتعدى بزواجك عن
منطقة الخطر .

المخلص

(. . .)

سیدی العزیز . . .

لا أمل هناك في عودة ، ولا رجاء في صلح . . لقد
اتضح لي أن هذا الزوج المثالي . . كان أول الناس صلة
بالفاجرة . . وأن غضبه لم يكن غيرة على الفضيلة والشرف ،
بل غيرة على المرأة من بقية الرفقاء .
يا للرجال الخادعين الخونة .

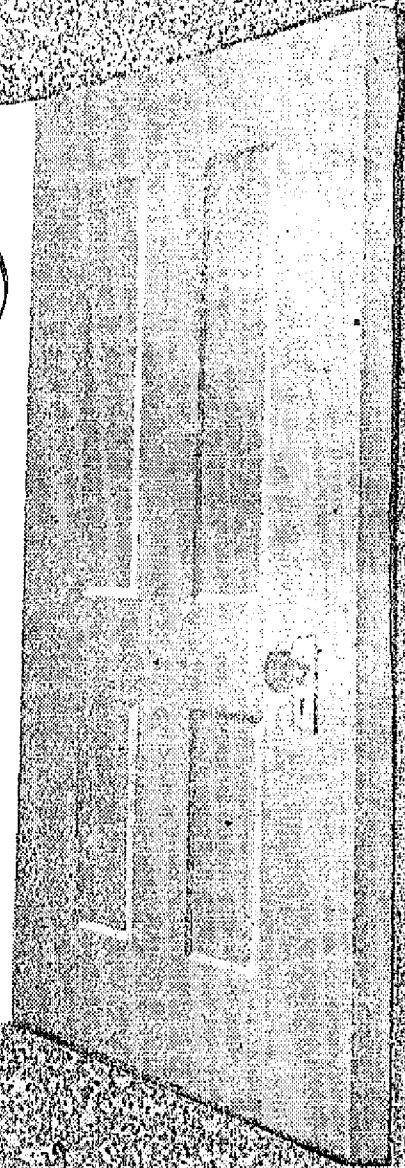
المخلصة

(. . .)



امرأة طيبة

أقيمتها في بيت من بيوت الهوي ..
دفعني اليه صاحب الترفيه والتسلية ..
ووجدتها صامتة لا تتحدث ..
ولكنني أحسست أنها محاولة طيبة.



كنت في إحيرة من أمرهما .. وكنت أسائل نفسي
وأسائل الناس .. كيف يستطيعان التفاهم ؟
وآية سخرية من سخریات القدر ألفت بأحدهما في طريق
الآخر ، وأرغمتها على رفقة العمر ، وشركة الحياة ؟
وأعجب ما في الأمر .. ذلك الحب العنيف بينهما .. فلقد
كنت أفهم أن زواجهما — برغم ما فيه من تناقض يبعث
على الدهشة — قد يكون وليد منفعة أو جاء خبطة عشواء
من صنع الظروف الخرقاء أو فرضته أسباب خفية قاهرة ،
فلم يستطيعا سوى الإذعان والامتثال .. أجل .. كنت
أفهم أن زواجهما العجيب .. ليس سوى ، وضع شاذ
لغرض من الأغراض ، والحياة مليئة بالأوضاع الشاذة
المقلوبة . كل هذا كان يمكن أن يبرر زواجهما ، أما أن
يكون بينهما حب ، وحب عميق قوى متين ، فذلك ما لم
أجد له في ذهني ما يبرره .

وكيف يقوم حب .. بين أعشى وبكاء .. حب استطاع
أن يدفع كلا منهما رغم ما به إلى المغامرة بزواج صاحبه ؟ !
لو أنهما تزوجا وهما صحيحان ، ثم أصيب كل منهما بما
أصيب به .. لما كان هناك ما يبعث على الدهشة .. بل لما

وجدت في حبهما القوى سوى صلة طبيعية زادت بها المصائب
والنوازل توثقاً وارتباطاً .

ولكنهما تحاببا وأقديما على الزواج وبكل منهما ما به ،
كيف أحب كل منهما الآخر ؟ كيف استطاعا التفاهم ؟ . .
وكيف تبادلا العواطف والمشاعر ؟

لو كان كلاهما أبكم . . لقلنا أنهما تفاهما بالعيون ،
ولو تعطلت — برغمهما — لغة الكلام ، لحاطبت « عينيه
في لغة الهوى عيناها » .

ولو كان كلاهما أعمى ، لقلنا جرى بينهما الحديث فعشق
كلاهما الآخر بسمعه وأذنه ، « والأذن تعشق قبل العين
أحياناً » .

أما أن يجمعا بين العمى والبكم ويتحاببا . . فذلك
ما حيرني ، وملأني عجباً ! .

ولقد بقيت أسائل نفسي كيف يعيشان ؟ وكيف
يتفاهمان ؟ حتى جمعتني بهما أواصر صداقة ، وزادت بيننا
الصلة حتى استطعت أن أعرف الكثير عن حياتهما
الخاصة . . فعلبت كيف يتفاهمان .

شيء عجيب ! ! لقد كانا يتفاهمان كأصح صححين ،
وكان العاهة التي بكل منهما لا أثر لها .

فهل كان التفاهم صنيع الحب ؟ أم طول العشرة والتعود ؟
كنت أظن قبل أن أعرفهما أن الألبم ، دائماً لا يسمع ،
أما هي فقد كانت تبدو لي كأنها تسمع . . أو أنها كانت
تلتقط الحديث وتفهمه من مجرد حركة الشفاه . . فكان
هو يتحدث ، وهي تفهم كل ما يقول ، وتبني كل ما يطلب ،
بلا لبس ولا خطأ .

وكان هو شخصاً عجيباً . . يبدو لي أن حاسة السمع
أو اللمس كانت لديه خارقة للعادة ، ومن يدرى ربما كانت
لديه حاسة سادسة . . يفهم منها ما تريد ويقرأ بها خبايا رأسها
وصدرها دون أن تفصح عنه .

على أية حال . . سواء أكان هذا أم ذاك ، أو كان
شيئاً آخر مما لست أدري . لقد كان الشيء الذي أستطيع أن
أجزم به . . هو أني ما رأيت التفاهم بينهما يتعثر قط . . بل
كانا يتفاهمان كإنسانين سليمين .

ولقد هدأت حيرتي بعض الشيء بطول معرفتي لهما . .
ولكن حب الاستطلاع لم يخمد في نفسي . . بل بقيت
أتلهف إلى معرفة قصتهما . . كيف التقيا ؟ وكيف تحابا ؟
إن في حبهما — بلا أدنى شك — أمراً يستحق أن يعرف
وسنحت الفرصة ذات ليلة ، وقد خلوت به في شرفة

الدار . . نسمر بحديث هادئ ، وبدأت أحدثه عن نفسى
حديثاً رقيقاً مستفيضاً استطعت به ، وبسكون الليل ونسيمه
ورفته . . أن أستدرجه إلى الحديث هو الآخر ، وإذا به
يمد ساقيه فى استرخاء ويدفع رأسه إلى الوراء كأنه ينظر
إلى السماء ويقول :

— أحببت مرتين .. حباً قديماً وحباً جديداً ، أما القديم
فقد ثوى ، ولم تبق منه سوى ذكريات باهتة . . تبدو كأنها
بقايا سحب فى الأفق البعيد .. لقد فقدت صاحبتة ، أو لكيلا
نظلمها فقدت أنا منها ، وافترقنا على عهد وميثاق وذهبت
إلى الميدان بعد أن وعد كل منا الآخر أن يكون لصاحبه ،
ولكن الظروف أضاعت العهد ومزقت الميثاق ، فلم نلتق
بعد ذلك أبداً .

لم أحاول أن ألقاها . . فقد كنت أعلم أنى بالنسبة لها
إن أكون سوى إنسان مفقود ميت . . هالك ، وكنت
أفضل أن أكون كذلك . . من أن أبدو لها بهذا الشكل
البشع . . ضريراً مشوهاً !

كنت أرى أن أبقى فى ذاكرتها ذكرى جميلة بدلا من
أن أكون فى حاضرها واقعا مرأ ثقيلا .. كنت غير واثق
من نفسى ، وكنت أكره أن أكون فرضاً بغيضاً عليها .

ثم أنه لا حق لي عليها — وهي ناضرة كالزهرة ، وهبتني
شذاها وأنا إنسان سليم — في أن أتعلق بها فأشدها لتقضي
بقية عمرها مع ضرير خابي العينين مظلّم الحياة .

كان حبي لها قبل أن أصاب يشدني إليها .. فلما أصبت
أحسست أن حبي يدفعني عنها .

وهكذا عدت من ميدان القتال وكأني لم أعد .. لقد
سبق أن أعلنوا أنني مفقود ، ولا أظن أحداً قد اهتم لفقدى
اللهم إلا هي ، فقد نشأت يتيم الأبوين ، وقضيت حياتي
وحيداً ، منطوياً على نفسي .. لا أحب ولا أحب ، حتى
لقيتها ، فأحسست نحوها بما يحسه ضال في بيداء مقفرة أقبل
على واحة منحة الظل والثر والماء ، فوقته من هجير ،
أطعمته من جوع ، وسقته من ظمأ .

عدت من القتال ضريراً ، أو على الأصح ميتاً مفقوداً
أنطوى على نفسي مرة أخرى وأعود لأضرب في بيداء
الحياة وأفقد الظل والماء والثر ، وأفقد معهما البصر
الأمل .

ومرّت بي الأيام لتزيدني يأساً على يأس ، ومللت
حياة وهممت — لولا بقية إيمان — بالتخلص منها .. حتى
إن ذات يوم ، أحسست أنني بعثت من العدم .

أجل مرّة أخرى . . أحسست أنى وهبت الملقأ بعد
طول ضلال ، ولقيت المقر بعد طول سعى وكد .

لقد أحببت ثانية ؟ !!

لست أدري لم أحببتها ، ألتوافق بين نفسيها . . أم لأنها
كانت ذات عاهة وكنت ذا عاهة ، فألف المصاب بين قلوبنا ؟
أم لأنها كانت أول من منحنى عطفاً وحداً ؟

الواقع أننى كنت على استعداد لأن أحب أية
تمنحنى قلبها . . أيستطيع طاوى الصحراء الجرداء . . أن
يرفض قدراً من الماء مهما حقر ، وقدراً من الظل مهما
ضؤل ؟

لقيتها فى ظروف عجيبة . . ولقيت بها غيرها لما فكرت
قط فى أن أتزوجها . . أماهى ، فما كنت لأتردد فى زواجها
حتى ولو لقيتها فى أسوأ مما لقيتها فيه .

لقيتها فى بيت من بيوت الهوى . . دفعنى إليه صاحب
للترفيه والتسلية ، ووجدتها صامته لا تتحدث ، ولكنى
أحسست أنها مخلوقة رقيقة جميلة طيبة ، وسألت عنها صاحبة
البيت فأنبأتنى أنها فتاة بكاء .

ونشأ بيننا ود سريع ، وأحسست منها عطفاً كثيراً ،

ووجدت المشاعر تتدفق من قلبي نحوها ، وفي نهاية السهرة
أوصلتني إلى الدار .

وفي اليوم التالي أقبلت تزورني ، وتكررت الزيارة
يوماً بعد يوم ، ولم تمض بضعة أيام حتى انتهى الأمر بيننا
بالزواج .

لقد تمت المسألة في غاية السرعة . . فلم يمض بين أول
لقاء وبين الزواج أكثر من أسبوع .

قد يبدو الأمر تهوراً مئياً واندفاعاً . . أن أتزوج امرأة
من بنات الهوى لأعرف عنها كثيراً ولا قليلاً ، ولكني
أؤكد لك أنني لم أندم قط على فعلتي هذه ، فلقد أحسست
منذ لقيتها أن شيئاً خفياً يشدني إليها ، واستطعت أن أجزم
لنفسى أنها — على كل ما بها — خير من ألف امرأة شريفة .
لست أدري ما رأيك أنت . إنني أحس أنها عوضتني
عن حياتي الماضية . ويبدو أنني لو تزوجت صاحبتى الأولى
وأنا سليم البصر ، لما كنت أسعد حالاً بما أنا عليه الآن ،
ففي كثير من الأحيان يبدو لي أنني لم أفقد شيئاً ، وأنى
المس صاحبتى الأولى فيها . . وأحس بها بين ذراعى ، وأنى
أبصرها كما كنت أبصرها فيما مضى . . حتى ليخيل إليّ أنى
أحب الاثنين في واحدة ، وأن فقدى البصر جعلنى أتوهم

صاحبتى الأولى فيها — أترى النساء يتشابهن جميعاً . . إذا
ما تحسناهن بأيدينا ؟



وصمت الرجل ، ولم أدر بأى شيء أجيبه ، ولم أشك
من حديثه فى أن كل ما به حنين مبعثه حبه الأول ، الذى
خشى عليه أن يتحطم إذا ما التقي بصاحبته ، وأنه فضل طول
الحرمان على مرارة الهزيمة ، وحرص على أن يحتفظ فى
ذهنه بأوهامه الجميلة . . ليعيش عليها .

فلما التقي بأول امرأة . . أبدت له عطفاً ، بعد أن أضناه
الحرمان ، وهبها ما اختزنه من الحنين ، وأقبل عليها ، فأحب
فيها صاحبته ، ولم أشك فى أن الوهم قد رسمها له صورة طبق
الأصل منها .

ماذا يضيره . . ما دام ضريراً ، لا يبصر شكلها الحقيقى
ولا يميز الفارق بينها وبين صاحبته الأولى ؟ .



ونفضت من مقعدى فشددت على يده مودعاً وهممت
بالخروج عندما وجدت الزوجة مقبلة من الحجرة المجاورة ،
وبدا لى من نظرتها أن فى رأسها أشياء كثيرة ، وسرت

وإياها مجتازين الحجرة إلى الصالة إلى الردهة لتوصلني إلى الباب .

وفي الردهة وجدتها تتوقف ثم ترفع بصرها إلى وتهمس قائلة فجأة :

— هل سمعت منه القصة ؟

وتملكني الدهول فقد ، كنت على استعداد لأي شيء إلا أن أسمع البكاء تتحدث .

وهمست متسائلا في دهش شديد :

— أتسكمين ؟

وهزت رأسها مشيرة « أجل » ثم أردفت قائلة :

— يبدو لي أن من الإنصاف أن تسمع القصة من الناحية الأخرى . . إني وصاحبة الأولى مخلوقة واحدة إني هي . . التقيت به أول مرة ، وأنا على وشك الانزلاق إلى الهاوية فأحبته كما لم أحب من قبل وأحسست أنه قد أنقذني من التردى ، وانفقنا — كما قال لك — على أن يكون كل منا لصاحبه .

ثم سافر إلى الميدان ، وأخذت أنتظر ، ولما علمت من صحبه أنه فقد ، تملكني اليأس وأحسست بالانهيار ، ووجدتني أندفع مرة أخرى إلى الهاوية . . دون أن أجد

ما ينقذنى ، ومرت بى الأيام وأنا أتجر فى الهوى . . حتى
كان ذات يوم التقيت به . . فكأنى رأيت ميتاً بعث ،
وأحسست بالحنين إليه ، ولكنى كرهت أن أسطم فى ذهنه
صورتى الحلو الشريفة ، ونخشيت — كما خشى هو من
قبل — أن أبدوله بهذه الصورة البشعة . . امرأة مدنسة ، ولم
أتكلم ، حتى لا يعرفنى ، ورجوت صاحبة البيت أن تنبهه
أنى بكاء ، وحاولت تجنبه والابتعاد عنه ، ولكنه أقبل
علىّ فى لهفة وشوق كأنما قد أحس بى ، ولم أستطع إلا أن
أبادله اللهفة على أننى مخلوقة أخرى جديدة غير صاحبه
الأولى . ومنذ ذلك اليوم . . لم أنبس ببنت شفة .

وعرض علىّ الزواج كما أنا . . بكاء من بنات الهوى . .
ولم أتردد فى القبول . . وعشت معه بشخصيتى الجديدة .
فكسبت الحاضر ولم أهدم الماضى .

إنى أمامه واقع سعيد هنىء ، وفى ذهنه ذكرى جميلة
ممتعة . . .



لامرأة آتمة

ومرة أخرى تدخل القدر
ليقتطف اليبال بجديد . . . ولكن
قد يفتته هذه المرة كانت برداً وسلاماً
وكان فيها الشفاء لنفس مضناة
معدبة ، والرجاء لقلب يائس
موحج ، والماء لروح صادية مهجرة .

يا قيس ليلى بليلي قل لذا الوله
هل آخر الحب مر مثل أوله ؟
أتيت ربيع الهوى عن غير معرفة
والله يعلم ما ألقى بمنزله
ما كان ذلك طوعاً إنما قدمي
زلت بقلبي فقادته لمقتله

أقسم بليلي .. ليلاى .. وليلا كم .. وليلى هذه القصة .
إن آخر الحب أشد من أوله مرارة وألذع طعماً .
وما أحق الشاعر الشاكي بالرثاء وقد ذاق المر من أوله
وأتى ربيع الهوى ، وخاض بحر الصباية ، خوض جاهل مكره
مسايق عن غير معرفة وبلا إرادة ولا رغبة ، ولكن قدمه
هوت به وزلت بقلبه ، فأودت به إلى حتفه وقادته لمقتله .
ما كان ذلك طوعاً ! .

ومتى كان الحب طوعاً ؟ ومتى كان عن معرفة وتقدير ؟
إن أُمّامى رسالة من بغداد .. رسالة ليلى المريضة
المعذبة .. قرأتها مشنى وثلاث ورباع ، وفي كل مرة أصل
لآخرها وأتوقف أمام لوعة صاحبها وحيرتها وسؤالها
إيأى أن أصف لها دواء وأجد لها حلاً .

إن الدواء مر . . فعند ما تزج بنا الأقدار في مثل هذه
التجارب يتعذر علينا الخلاص إلا بطريقتين أحلاهما مر . .
وأسهلهما شائك وعمر . . الأول على حساب تحطيم قلوبنا
وتمزيق مشاعرنا . . والثاني على حساب تحطيم التقاليد وتمزيق
العرف والأوضاع . . الأول نكبح فيه جماح أنفسنا ونعلمها
الصبر على الشقاء والجلد على الحرمان . . والثاني ننطلق منه
على هوانا . . تلهب ظهورنا سياط الألسنة ، وتدمى أقدامنا
أشواك اللوم والتأنيب . . وكلا الطريقين شاق عسير . .
والنهاية . . الله بها أعلم .

هذه الرسالة تحتوي على تجربة شاقة عسيرة ، لست
أشك في أن الأقدار لا تبخل به على البشر . . بل هي تبسط
بها يدها كل البسط في كل زمان ومكان .

ولست أريد أن ألقى لوماً على صاحبة الرسالة . . أو
أحملها ذنباً ، فأنا أكره أن أعطي طالبة العلاج والمشورة
بدل الدواء لوماً ، وأكره أن أحملها نتيجة ما انساقت إليه .
فهذه المآزق والأزمات تدفعنا الأقدار إليها دفعاً . . فنجد
خيوطها قد أحاطت بنا وأوثقتنا فلا نملك حراكاً ولا فكاً .
ومع ذلك ، ومع رغبتى الشديدة في تجنب اللوم . .
فإني لا أملك أن أمنع الحيرة والدهش اللذين يتملكاني

كلما توقفت أمام بعض الحوادث والمواقف في هذه الرسالة .
ولا أملك أن أمنع نفسي من التساؤل عن نظام الحياة
في بيوت العراق ، وعن تقاليد العائلات العراقية المحافظة .
هل من الطبيعي أن يسمح لغريب بالحياة مع أهل
الدار ؟ وهل من الطبيعي أن يصبح غريب ذو حق في عائلة
من زوج وزوجة وأم وأب ؟ وأن تتضخم حقوقه إلى
درجة أن أى أكلة تعجبه تطبخ له وأنه إذا تأخر عن
الطعام لا يجسر أحد أن يتناول الطعام قبل أن يتصدر
المائدة ؟

هل هذا شيء طبيعي في عائلة عراقية محافظة ؟
أنا لا ألوم ولا أسخر .. بل إنى أتساءل مجرد تساؤل ،
إن الرسالة قد تضمنت هذا الكلام بمنتهى البساطة كأنه
لا عجب فيه .. ومع ذلك فقد عجبت له .. فإنى أعرف
العراقيين كالمصريين .. وأن تقاليد العائلة العراقية المحافظة
هى نفسها تقاليد العائلة المصرية المحافظة .

وهل من الطبيعي أيضاً أن .. ؟
ولكن مالى ولكل هذا التساؤل ؟ أليس من الأفضل
أن أعرض الرسالة كما هى .. وليحكم عليها القراء بما
يشامون ؟ .. ؟

أظن هذا خير وأفضل .

إليك الرسالة كما هي . . بلا تنميق ولا تزويق .
« أخى ..

. . سأحدث أخى عن سر آدمى فؤادى وجعلنى أذبل
وأنا بعد فى ربيع العمر وناضر الحياة .

أكتب إليك كتابة شابة تعسة بائسة تقطعت بها
خيوط الأمل وسدت فى وجهها سبل الرجاء . . وبلغ بها
اليأس مبلغاً جعلها تنوهم نجاتها فى خيط واه رقيق ! وتتلس
وسط الظلماء بارقة نائية تلمع كالآلىء .

أجل يا أخى . . لقد بلغ منى اليأس مبلغاً دفعنى إلى أن
ألجأ إليك وأنا فى بغداد وأنت فى القاهرة ، فأكتب إليك
شارحة قضيتى ، عارضة مأساتى ، سائلة إياك أن تجد لى منها
مخرجاً وتسعفنى بدواء بعد أن عز المخرج واستعصى الدواء .

أنا أسألك الدواء وأنت فى القاهرة وأنا فى بغداد .
أسألك راجية آملة .

لا تتهمنى بالجنون ، فأنا مازلت عاقلة . . ولولا هذا
الآمل والرجاء الذى حفظ لى بقية من عقل ، لأودى بى
اليأس إلى هوة من الجنون .

إننى آمل فىك ، على البعد ، لأننى لا بد أن آمل فى شيء ،

وما دام الأمل قد ضاع في كل ما حولي ، فيلزم لا أأمل في شيء بعيد ؟ . على الأقل حتى لا تستعصى على الحياة .

أنا فتاة (هكذا كتبت صاحبة الرسالة .. وأعتقد أن الصحيح .. سيدة) ولدت في وسط محافظ على التقاليد ، ومن عائلة متوسطة تتكون من أم وأب وأخ .

ولست أريد أن أضيع وقتك بتفاصيل تافهة عن العائلة ، ولكنني ألخص العلاقة بيننا بأن كل فرد في العائلة يحب الآخر ويحترمه .

وبدأت اندماجي في الحياة العراقية بالالتحاق بإحدى المدارس الابتدائية .. وكنت أشعر منذ حدثتي برغبة في الدراسة وميل إلى تحصيل العلم ، ومكنتني هذه الرغبة وهذا الميل من التفوق على لداقي من الطالبات ، وكانت أقصى أمنية لي أن أتمم دراستي حتى النهاية ، ولكن القضاء الجائر لم يشأ أن أنال أمنيته فحالت ظروف قاسية بين الدراسة وبينى وانتزعتني من الطريق في أول مراحلها .

ولم يززع ذلك الجور من القضاء والشدة من الظروف ثقتي بالحياة ، وداومت على السير فيها راضية قانعة ، حتى قذف القدر إلينا بما زلزل زلزالها وأخرج أثقالها ، وغدت علينا الرياح بغمامة معتمة مظلمة خيمت عليها ..

أو على الأصح . . على حياقي أنا بالذات .

لم تكن الغمامة والزلال سوى رجل جمعته بأخي دواعي العمل ، ووثقت الدواعي الصلة بينه وبين العائلة . . وزادت الأيام هذه الصلة وثوقاً ، فقد كان بحكم العمل المشترك بينه وبين أخي دائم التردد علينا يكاد يقضى معظم يومه في بيتنا . وقد بدأ هبوبة علينا وأنا لم أزل بعد طفلة غريرة . . لاهم لها سوى استذكار دروسها وعمل واجباتها الدراسية والانهماك في تدبير شئون الدار ، وأخذ مركزه يتوطد بيننا ومقامه يستقر ، وزاد تعلق الأسرة به حتى انتهى الأمر به إلى أن يقطن معنا .

ولا أكذبك القول إذا قلت لك أن الرجل كان يتمتع بكل احترام وتبجيل ، وكان الكل ينظرون إليه نظرة تقدير . . عداى .

أجل . . أنا وحدى الصغيرة الضئيلة التافهة . . التي كنت أكرهه وأحتقره . . فما كان يقع من نفسي إلا موقع أفاق أمي فرضته علينا الأقدار فرضاً ، وعجباً حاولت أن أعود نفسي حتى على مجرد قبوله ، فقد كانت تعافه وتزدريه وهي الطموحة الوثابة ، وهو رجل الشارع الفظ الغليظ المحروم من كل ما وهبه الله لإنسان محترم . . لا ثقافة

ولا خلق ولا ذوق . . ولا شيء أبداً .

ومع ذلك فلم أك أستطيع إلا الرضاء . . فما كنت أملك
فى الدار سلطة طرده وإقصائه ، ووجدتني أصبر مضطرة
على قربه والعيش معه . . حتى وقعت الطامة الكبرى ،
وطلب يدى .

طلب يدى لى أكون زوجته ولى أنا وأياه تحت
سقف واحد وفى فراش واحد .

هذا الحيوان الجاف ، من دون خلق الله أجمعين ، يطلبنى
أنا بالذات من دون نساء العالم لى أشاطره حياته ولى
أشد معه بوثق يربطنا معاً إلى الأبد .

ولم يجد من الأهل رفضاً ولا صداً ، فقد كانوا كلهم فى
حاجة إليه بعد أن قيدهم بأغلال هداياه وجمائله ، وبعد أن
أغمضوا أعينهم عن خبث نفسه وسوء طويته فلم يكتشفوه
على حقيقته رغم انقضاء هذه المدة الطويلة على سكناه معهم ،
وفاتحونى فى الأمر فهبيت نائرة غضبى مدافعة عن كيانى
وعن مستقبلى وعن حياتى الطويلة الباقية . . وتشبثت بحقى
فى الحياة وفى اختيار الزوج تشبث المستميت . . وقلت إنى
مازلت صغيرة وأنى أرغب فى الاستمرار فى الدراسة . .
وحاولت التذرع بجميع وسائل الرفض ، ولكن رفضى

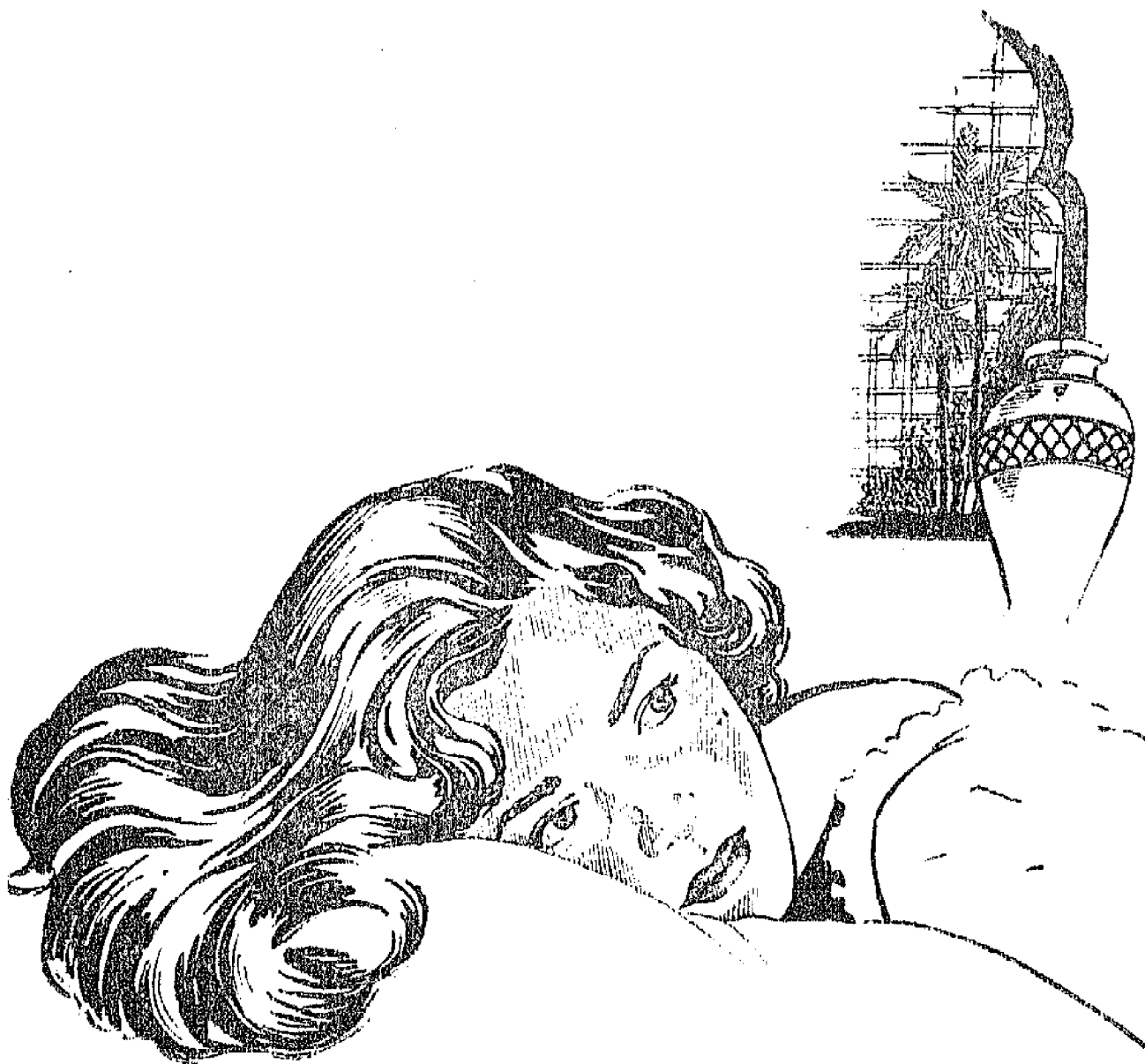
لم يجد معهم نفعاً . . وساقوني إلى مصيرى سوق النعاج إلى
إلى قصابها والمذنب إلى جلاده .

وفى ذات يوم أسود أغبر مثقل بالكروب والخطوب ،
نفذ فى حكم الزواج .

انتهى الأمر وحانت الآخرة ، وسقت إلى مصيرى
المحتوم . . إلى بيت الزوجية الجديد ، ولم يكن أمامى مفر منه
فتوسلت إليهم - ماداموا قد قضوا علىّ هذا القضاء - أن
يترفقوا بى ويستعملوا الرأفة وألا يتركونى وحدى . . بل
يؤنسوا وحشتى ويقتنوا معى وألا يفارقونى ويخلفونى
وحدى معه .

ومرت بى الأيام وأنا أزداد تعاسة وشقاء ، وجسدى
يزداد نحولا وذبولا حتى وهن منى العظم وبت شبحاً لا يكاد
يعرفنى أقرب الناس إلىّ . . وهو . . هو . . يرتع فى بحبوحه
من الجهل والغباء والفضاظة والغلظة . . لا تكاد تسمع من
شفتيه سوى سيل دائم من الألفاظ النابية الجارحة .

ورزقت من هذا الوحش بطفلة آية فى الجمال ، ولكنها
شبت على غرار أبيها . . فضاظة خلق ، وغلظة طبع ، حتى بت
أكرهها أشد الكره . . ونمت وترعرعت وهى أبعد
ما تكون عن عطفى وحنانى .



لقد كنت أشعر دائماً أنها ابنته وحده . . وأنه ليس لي فيها ناقة ولا جمل ، فبغضتها ، وهي ابنتي ، لمجرد إحساسى بأنه يشاركنى فيها تلك البنوة .

أجل . . لقد تغلب كرهى لابنته على حوى لابنتى .
وهكذا سارت حياتى معه على وتيرة واحدة ، فما اعتبرتته يوماً زوجاً لى . . وما بادلته حباً ولا ميلاً ، ولا حتى إحساساً بوجود .

وفى صيف ١٩٤٧ أفلحت ، بعد إلحاح شديد ، فى إقناعه بالسفر إلى مصر لتمضية الصيف فى الاسكندرية . .
ولأتداوى من علة لازمتنى هى « مرض الأعصاب » .. فقد كانت أعصابى متوترة مرهقة وكنت أثور لأتفه سبب .
ومرة أخرى تدخل القدر ليقذف إلينا بجديد . .
ولكن قذيفته هذه المرة كانت برداً وسلاماً ، وكان فيها الشفام لنفس مضناة معذبة ، والرجاء لقلب بائس مودع ،
والماء لروح صادية . . مهجرة .

لقيته فعرفت فيه — من أول نظرة — بلا أى مبالغة ولا ادعاء ، حبيب الروح وأنس الحياة ، ولم أجرؤ أن أعترف حتى لنفسى . . بهذا الأمر ، بل زعمت لنفسى أننى ارتحت إليه مجرد ارتياح ، فلقد كان مخلوقاً مشفقاً رزيناً

لطيفاً ، هادئ الطبع ، باسم الشجر ، حلو الحديث .
كان شاباً وسيماً ذا مركز محترم وأصل طيب ، وثقافة
عالية ، وقد تعددت زيارته لنا بعد التعارف وتوثقت عرى
الصداقة بينه وبين أفراد العائلة جميعاً . . حتى أضحي على مر
الأيام كواحد منها . . وأصبح الصديق الجيم للزوج والأخ
والوالد والوالدة .

وبدأت أحس بالتطور الجديد في نفسى الشائرة
ومشاعرى القلقة وأعصابى المتعبة ، فبدأت الثورة ، وضاع
القلق ، وتبدل التعب راحة .

أى والله يا أخى ، ما عدت أحس بحزن ولا قلق ،
ولا إرهاق بل أصبحت أحب الحياة وما فى الحياة ، ولم
أعد أضيق بكل شىء ذرعاً ، وأحس من كل جلسة مللاً . .
بل أخذت أشعر بأن هناك ما ملأ الفراغ وآنس الوحشة ،
وكنيت أجلس وإياه لنقرأ فى كتب الشعر والأدب التى جلبها
إلىّ وتناقش فيها وتبادل الرأى ، وكنيت أحس من ذلك
بلذة أى لذة ، ومتعة أى متعة .

لقد بدأت أتذوّق الحياة ، وأعرف ما معنى أن يعيش
الإنسان مع صاحب مثقف لطيف رقيق .

وفجأة انقطع . . منعه الزواج عن زيارتنا . وتركنى أشبه

بمجنونة حائرة . . وظماى مسغبة .

وأقول الحق أنى لم أستطع المقاومة ولا النفاق ولا
المداراة ، فارتيمت طريحة الفراش ، وكلفت والدى بالتنقيب
عنه ، وخرج أبى ولم يعد إلى الدار إلا به .

واعتذر عن غيابه وأنبأنى أنه لم يعرف نبأ مرضى إلا
من أبى وأنه حضر فى التو عندما علم .

واستمر يعودنى حتى كتب لى الشفاء وعادت إلى بعودته
حياتى ، وأشرق السكون بعد طول ظلمة وعبوس .

ولم أعد منذ ذاك الوقت أطيق البعد عنه لحظة واحدة ،
وماعدت أكنم حبي بين جوانحي بل أطلقته متحرراً صريحاً
من الحنايا . . وماعدت أخشى شيئاً . . فإذا تأخر موعد
زيارته استحثت مجيئه بالتليفون ، وبت أغار عليه من لمس
الهواء ، وأعاتبه إذا قصر يوماً فى الزيارة .

ولست أريدك أن تفهم من قولى أطلقت حبي متحرراً
صريحاً من الحنايا أنى قلت له إنى أحبه .

لا . . لا . . إنى ما قلتها قط ، وما قالها .

ما قلتها وما قالها . . ولكن كل فعلنا كان بوحى بها . .

وينم عليها .

مرت على علاقتنا هذه ثلاث سنوات ، والحب بيننا

متأجج والهوى مستعر.. لا تنطفىء له نار ولا يخبو له أوار،
حتى بات لكل منا حقوق على صاحبه أقوى من حقوق
الأزواج والآباء والأبناء، وأصبح هو كل شيء في العائلة،
فأى أكلة تعجبه تطهى له، وإن تأخر يوم عن الطعام
لم يحسر إنسان على قربه حتى يتصدر المائدة.. فأشعر
بالسعادة تفعم جوانحي وأنا بجانبه يروى لي النكات الحلوة
والأحاديث الطريفة المسلية.

وفي ذات يوم ألقى لي بأول رسالة يكتبها إليّ ويثني
فيها حبه ولواعجه.. ألقاها إليّ بطريقة مترددة خائفة وجللة
مستترة.. فقد دسها لي في كتاب دون أن يعنونها باسمي كأنما
هي رسالة إلى مجهول، وكانت رسالة حارة ملتهبة تذوب
شوقاً وتزفر جوى.. ولا أكتمك القول أنى ما سعدت
في حياتي سعادتي في لحظة قراءتها، أو على الأصح التهامها.
وطالت غيبته فترة بعد أن دس لي رسالته الممتعة،
وكنت أذوب شوقاً إليه فحادثته بالتليفون وسألته متخابثة
عما إذا كانت الرسالة الموجودة في الكتاب تخصه، وعمن
يقصد بها.

ورد عليّ بأنها شيء تافه كتبته في فراغه ورجاني ألا
أعيرها أى اهتمام.

ولم تضايقتني مغالطته ، فقد كنت واثقة من أنه يعينني بها
ولم أملك سوى أن أقول له ضاحكة :
والله يسألك .

ولم ت الأيام وكل منا يخرج هواه ويكتمه ، ويبوح به
ويحبسه .. يبوح به فعلا ويكتمه قولا .. لساننا في صمت
وأعيننا وقلوبنا وأرواحنا في صخب وضجيج .

أقولنا هادئة .. وأفعالنا ثائرة هادرة . كان يكتب لي
الشعر الحار على قصاصات من ورق يرفقها بكتبه ، وكان
يطلب من الإذاعة أغاني المحبة . فيهبج مني كامن الشوق
وزائد الحب .

وطال بنا الهوى الشريف الطاهر المكبوت حتى أخذ
يعصف بحياتنا ، فبدأت تصيبه في الصيف الماضي نوبات
عصبية ، وأخذ جسده يذبل ، وعوده يجف ، حتى غاب
عنا ذات يوم فجأة .. وكنت في الشهر الأخير وعلى وشك
الدخول في المستشفى للوضع .

ولم أتصور قط بعده ، فتوسلت إليه أن يحضر فلي
الرجاء ، وأمضيت مدة الولادة وهو ساهر على راحتي
لم يفارقني لحظة حتى انتهيت من الوضع وغادرت المستشفى
سليمة معافية .

ولم يكند يستقر بنا المقام بعد الوضع حتى وجدته
يزورنا فجأة ويعلم أنه قرر نهائياً عدم السكنى في بغداد ،
وأنه سينقل محل إقامته بعيداً عنا لأسباب صحية . وأن الأطباء
أشاروا عليه بتبديل الجو نظراً للتحول الذى أصابه .

وبعد سفره بساعات كتب إلى رسالة يصارحنى فيها
لأول مرة بحبه الجارف الفياض ، ويصارحنى بأن سبب
سفره الحقيقى هو حبه لى ورغبته فى البعد حتى لا يكون
سبباً فى مأساة عائلية ، وسألنى أن أكتب له باستمرار .

وهكذا رحل بعد ما أودعنى قلبه الذى يقطر حباً والماء
ولوعة ، وأحسست بالمرارة والحزن ، مرارة الفارقة وحزن
القطيعة ، ولكن لم يكن أمامى سوى الصبر والتحمل بالكتابة .
ومرت الأيام وأنا أكتب له وأحدثه بالتليفون على
بعد الشقة .

وطال البعد وأنا أصبر عليه وأتجملد ، حتى ذوى منى
فاضر الحياة ، ويبس زاهر العود .

ورقدت على الفراش أنا والموت سواء . . لا أتمنى شيئاً
سوى لقاء بعد طول فرقة . . ووصل بعد طول نأى وبعد .
وكأنما اراد القدر ان يمعن فى التشكيل والتعذيب ،
ويبعد عنى كل أمل فى لقاء أو رجاء فى وصل .

فإذا بي . . أنا التي أنتظر منه عودته من غيابه الطويل ،
أسمع أن الأهل قد قرروا السفر إلى خارج العراق .
ولم أطق على قرارهم صبراً ، فأرسلت إليه أستدعيه ،
وأعلن أن صبرى قد نفذ .

وحضر إلىّ في النهاية .. وصارح كل مناصبه بحقيقة
ما في نفسه وسأله أن يضع للسألة حداً .

وأنبأني بأنه على استعداد لأن يفعل من أجلى كل شيء
وأن يفقدني بروحه . . ولكنه سألني أن أتروى وأدرس
الأمور بعين الحكمة والعقل .

أى عقل يا أخى وأى حكمة ! وهل ترك لي الهوى حكمة
وأبقى لي عقلاً ؟

أنا مجنونة . . تائهة . . حيرى .

أما من معين ؟ أما من منجد ؟

أغثنى يا أخى بنصح منك ! .

فقط لا تنس شيئاً واحداً وهو أنى أحبه . . أحبه . .

أحبه . . وأن الحياة بغيره . . مهما كان فيها . . أهون منها

الموت .
المخلصة : ليلي

ماذا أقول لها بعد كل هذا ؟ .

وماذا يستطيع أن يقول لها أى قارىء منكم ؟ .

لقد قلت إنه عندما تزج بنا الأقدار فى مثل هذه

الآزمات يتعذر علينا الخلاص إلا بأحد طريقين : الأول
على حساب تمزيق مشاعرنا واحتمال الحرمان . والثاني على
حساب تمزيق التقاليد وتحطيم الأصول .

ولكن يبدو لي أن الطريق الأول في هذه الحالة متعذر
وأنه ليس هناك بد من الخلاص بالطريق الثاني وهو تمزيق
التقاليد وتحطيم الأصول . . وفراق الزوج والأبناء وتسكلة
الحياة مع الحبيب .

ولكن هل هناك في هذه الحالة بالذات تمزيق أصول
وتحطيم تقاليد ؟ لا أظن . . إني لا أستطيع أن ألمح طول
الحادثة أثراً لتقاليد أو أصول حتى الابنة ولدتها الأم
مكرهة مبغوضة .

لقد قلت رأيي وأنا بعيد عن مكان الواقعة ، جاهل
بأصول بيئتها وتقاليدها .

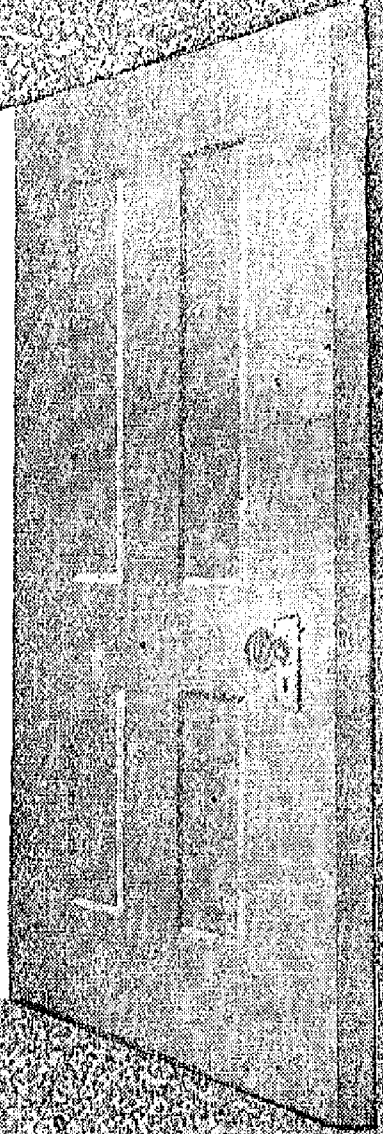
هل يستطيع أحد من أهل البلدة أن يفطينا ؟ .

يا أهل العراق . . أفتونا أفادكم الله .

وأخيراً وصلت الفتوى . . وحلت العقدة . . فتوى
من السماء ، وحل من عند الله . . لقد أودى بها الداء . .
وأنقذتها العلة ، وشيعها القدر بضحكة ساخرة تكاد تقول :
هاكم امرأة آثمة ! !

امرأة منتقاة

بالقدر العجيب . . ألم تجد هذه
المخلوقة من تسلط عليه سياطها
سواي ؟ . . ألم تجد من هؤلاء
الشر سوى ولدي وزوجي ؟ !



صاحبة القصة قالت :

هزنتني

كنت في حالة انهيار تام عندما ذهبت إليها .. كنت أما ثكلى .. لم يمض على وفاة ابنها سوى بضعة أيام .

كنت أشبه بحطام .. لم يعد به من الحياة رفق .. فلقد كانت الصدمة شديدة الوقع على .. أشد مما يمكن أن يخطر على بال إنسان .

كانت فجيعتي في ولدي فجیعة مضاعفة .. وكانت ضربة القدر التي وجهها إلى بموته ضربة مزدوجة .. إحداهما أفقدتني إياه .. والأخرى أفقدتني كل ما يمكن أن أتعزى به أو أتعلق فيه .. أفقدتني كرامتي .. وثقتي في الحياة .

لقدمات منتحراً .. من أجل امرأة .. وكان هذا آخر ما يمكن أن أتصور أن ولدي يقدم عليه .. لقد كنت أراه دائماً شديد الإيمان .. قوى الثقة بنفسه وبالحياة .. يشع من وجهه الأمل .. وتفيض قسماته بالمرح والرضا .

كنت أعرف أنه يحب ، وأنه كالنحلة يرشف من كل زهرة قطرة .. ولم أنكر عليه هذا .. فلما من شاب في ربيع العمر يخلو قلبه من بذور الحب .. وما حاولت مرة أن أتدخل في أموره الخاصة ، بل كان أقصى ما أفعله هو

أن أدعو له بأن يهديه الله ويوفقه إلى الزوجة الصالحة .
ولقد خيل إليّ أن الله قد استجاب دعائي وأن قلبه قد
استقر على إحدى الزهرات فقد بدأت مواعيده تنتظم . .
وكف عن السهر وعن عبث الشباب . . وحمدت الله الذي
هداه بهذا الحب الجديد . . وتمنيت أن تكون صاحبه من
أصل طيب ، يشر فئا نسبه ، وأن تستقيم أموره معها . .
حتى تكون له الزوجة المنشودة .

وبدا لي في حبها قريراً هاتئاً . . دائم الإشراف ، دائم
الفرحة ، حتى لقد أحببتها أنا دون أن أراها ودون أن
يحدثني عنها إلا لمأماً . . فلقد كنت أحس من هنائه هنائي ،
وأستمد من رضاه رضاي .

ماذا يكون من أمرى . . بعد كل ما وصفته لك . .
عندما أعود إلى الدار ذات مساء عقب زيارة بعض
الأقارب . . فإذا بي أجد ضجيجاً في الدار ، وإذا بي ألمح
عربة الإسعاف تقف أمام الباب . . ثم أستوضحهم الأمر
فيقولون لي إن ولدي انتحر ؟

لقد سقطت على الأرض صريعة بلا حراك . . فلما
أفقت اندفعت كالجنانين . . أسأل عنه وارتميت على جسده ،
غير مصدقة أنه مات . . أو قتل نفسه .

هو يقتل نفسه ؟ ! الإنسان القرير السعيد . . الشديد

الإيمان ، والقوى الأمل . . ينتحر ؟

كيف ؟ . . كيف يمكن أن يفعل هذا . . ؟

لقد كان مثلاً لإنسان سعيد وما أحسست قط أنه يشكو
ألماً أو يعضر في نفسه حزناً . . أيمن أن يكون قد انتحر
بسبب من يحبها ؟

لا . . لا . . إن ولدى لا يمكن أن يقدم على ذلك .
ومع هذا . . فقد حملت إلينا الرسالة التي تركها قبل أن
يموت . . الجواب القاطع . . بأنه انتحر . . من أجل امرأة ؟
لقد كانت الرسالة تحمل إلى . . الصدمة الثانية .
لقد وجدوها في ثيابه وكانت موجهة إلى صاحبه وكان
بها ما يلي :

« عزيزتى »

أكتب إليك لأقول لك كلمتى الأخيرة قبل أن أفارق
الحياة .

لقد حزمت أمري على الانتحار . ولو تنبأ لى إنسان قبل
اليوم بأنى سأموت منتحراً لرميته بالجنون . . ولقلت إنه
إنسان مخرف . . فما احتقرت فى حياتى إنساناً كالمنتحر . .
ولكنى الآن أحس أن من الغباء أن نبقى على قيد الحياة . .
قولوا لى جيان واتهمونى بما شئتم . فما عدت أعبأ بكم
وبدنياكم . لقد أضحييت إنساناً يائساً . . يائساً من كل شيء .

لقد أحببتك ، وما بي من حاجة إلى أن أخبرك بمدى
حبي لك . . لأنك تعرفينه خير معرفة . . ولأني لم أكتب
هذا لأشرح لك حبي . . بل لأخبرك برأيي فيك . . لقد
أحببتك حباً من نوع لم أعهده في نفسي . . حباً ملؤه
الاحترام والثقة . . وأحسست أن نفسي قد شدت إليك ،
وأن مصيري قد ارتبط بمصيرك . . وأضحت أنظم حياتي
باعتبار أنك قد بت جزءاً منها . . وأن أحداً لم يعد له
عن الآخر غنى .

ولست أزعم أنني أربأ بالمرأة عن الخيانة . . وأتوقع
منها الطهر والعفة ، فأنا شديد الخبرة بخيانة النساء . . ولكن
أنت . . أنت بالذات . . كنت أتوقع منك أن تكوني خيراً
مما كنت . . كنت أرى فيك نسيجاً وهدوءاً . . كنت أضعك
فوق مستوى البشر .

ورغم كل هذا . . ما أظنني كنت مقدماً على الانتحار
لو إنك خذلتني . . وبددت أملی بطريقة طبيعية . . وبخيانة
عادية . . كغيرها من الخيانات .

بل يخيل إليّ ، لو أنني ضبطتكم مع أي إنسان آخر لكان
الامر يمكن احتماله ، وما كان مثل هذا اليأس يطبق عليّ
فيسلمني صوابي .

أجل . . لو أنك خنتني مع أى إنسان . . غير أبى . .
لاستطعت أن أحتمل .

أما أن أجمع فيك ، وأنت كل شيء . . وفيه وهو أبى ،
ويعرف أننى أحبك وأنت منتهى أملى . فذلك ما لا أستطيع
احتماله .

لست أدري هل تحببته حقاً كما سمعتك تقولين له أم
أنك تخدعينه ؟ !

هل تخدعيني ، أم تخدعينه ، أم تخدعين كلينا ؟
وإنى فى حيرة شديدة ، فهو رغم أنه أبى ما زال يفيض
قوة وفتوة ، وما زالت به القدرة على فتنة النساء وإغرائهن .
إنى فى حالة يأس مخيف . . وانهباء تام ، لقد فكرت
فى أن أقتلك ، أو أقتله .. فلم أستطع . . لأنى أحبك وأحبه
رغم كل ما فعلتماء بى ، وأخيراً فكرت فى أن أقتل نفسى
فوجدت أن هذا هو خير حل ، فما عدت فى حاجة إلى نفسى
لأنى كرهت الحياة . وما أظن هناك أحداً فى حاجة إلى . .
اللهم إلا مخلوقاً واحداً . . أحس بالندم من أجله وهو أمى .
أمى الطيبة المخدوعة . . التى أحس أنى أتركها وحدها
كاليتيمة فى مأدبة اللثام . . وكالشاة وسط عصبة الذئاب .

إنى أحس أنى جبان لأنى تركتها وحدها . . بينك وبينه .
ولكن ماذا أستطيع أن أفعل ؟ إن الله معها . . فهى

امرأة مؤمنة .. أما أنا فقد كفرت بكل شيء .. وانهارت
ثقتي في كل شيء .. وبت أشعر أن شفائي في الرحيل عن
دنيا كم .. دنيا الزيف والخداع .

تلك ياسيدي هي الرسالة التي تركها ولدي .. أو الطعنة
الثانية التي وجهها القدر .

ولست أكتمك القول . أنها رغم كونها شر ما يمكن
أن تصاب به زوجة لم تروعي كثيراً ، فقد تركتني الصدمة
الأولى — موت ولدي — وأنا في حالة ذهول وأصابتنى
بألم جعل كل ألم غيره يتضاءل .. أو قل إنها قتلتني « وما
لجرح بميت إيلام » .

وهكذا مضت الأيام الأولى عقب الحادث وأنا في شبه
إغماء ، لا أكاد أهتم لشيء أو أحس بشيء ، حتى بدأت أفيق
لنفسي وأتطلع حولي فإذا بي أوشك أن أسلب الطير الآخر .
وأحسست بكره شديد لتلك المرأة التي أصابتني بتلك
النوازل والكوارث .. والتي سلبتني أعز ما لدي .. ولدي
وزوجي .. ووجدتني أقف أمامها وحيدة عزلاء .

وفي ذات يوم صممت على أن أنهي الأمر وأن أذهب
لمواجهتها .. وأريها الرسالة التي تركها لها ولدي ، وأسألها
أن ترحمني .. وتترك لي زوجي .



وذهبت إليها ، وطرقت بابها . . وأنا أحس أني ذليلة
كسيرة . . كأنني سألة استجدي .

ورأيتها لأول مرة . . مخلوقة صغيرة تملك أمضى وأفتك
ما تملكه امرأة من روعة وفتنة .

وبدأت حديثي معها في لهجة مستعطفة متوسلة . . وهي
تضع ساقاً على ساق . وتتشاغل بتمشيط شعرها . وأعطينها
الرسالة . . فأخذت في قراءتها دون أن يبدو على وجهها أي
علامة من علامات الحزن والتأثر .

وأخيراً رفعت حاجبيها وتساءلت في دهشة :

— لست أدري ماذا تريدن ؟

— أريد زوجي .. رديه إليّ . يكفي أني فقدت ابني .

— اسمعي ياسيدي أنا لست مسئولة عن كل إنسان
يفتحر ، ولا أستطيع أن أمنع إنساناً من حبي . . هل تريدن
أن أفعل لك شيئاً بعد هذا ؟

وأحسست أن قولها قد مزق حشاي . . وعزّت على
نفسي أن أهينها إلى هذا الحد .

ولم أستطع سوى النهوض والانسحاب ذليلة كسيرة . .
كما أتيت .

يا للقدر العجيب . . ألم تجد هذه المخلوقة من تسلط عليه
سياطها سوى . . ألم تجد من هؤلاء البشر سوى . . ولدي
وزوجي ؟

ورفعت بصرى وأنا أغادر الغرفة . . فواجهتنى صورة
امرأة معلقة بالجدار ، وأحسست من مראהها برجفة تسرى
فى بدنى .

ووجدتنى دون تفكير أسأل عنى تكون .
وأجابتنى المرأة فى شىء من التعجب :
— إنها أمى . . أتعرفينها ؟

أمها ! ! ورأيت الأعوام تترى أمامى ، وإذا بالماضى
يتجدد . كيف لا أعرفها ؟ . وقد نزعت منها خطيبها فى زمن
مضى . . لقد سلبته منها بعد أن أحب كلانا الآخر ولما
تمض بضعة أشهر على خطبته لها .

أجل . . لقد كان زوجى الذى انتزعت منى هو الخطيب
الذى انتزعت من أمها فى زمن مضى .
وتذكرت نصيحة أمى يومذاك . . وتحذيرها إياى بألا
أتزوجه . . ولا أسلبه من خطيبته وقولها إن الظلم لا بد
مردود ولو بعد حين .

إن القدر لم ينس فعلاً . . بعد ثلاثين عاماً .
وخرجت أتعثر فى أذبالى محنية الظهر مطأطئة الهامة .
اللهم هبنا من لدنك رحمة واغفر لنا ، واعف عنا .
لقد كانت المسألة كلها . . لا تعدو أن تكون ثأراً قديماً .

امرأة قاتلة

وتطائر من تسمى الحب والطيبة
والخلق والمهدوء والاستكانة ..
تطائر كل هذا ولم يبق في نفسي
سوي احساس بالجرح .. ووقع
بصري على مسدسه الذي يحتفظ به
في دولابي ، وبحركة لا ارادية
مددت يدي وتحسني اصبعي الزناد
ثم ضغطت عليه .

اسقنيها فقد رأيت بعيني

في قرار الجحيم أين مكانى

اسقنيها .. فقد نضب معين الروح وجف ماء القلب ..

اسقنيها عليها تغرق أكداس المرارة وتفتت صخور اليأس .

اسقنيها عليها تطفئ حرقه في النفس ، وتبل سعير آ في

الفؤاد .. فإن لم تفعل فلعلها مطفئة ذبالة حس ، هو كل

ما تبقى لي لينكأ جرحى بين آونة وأخرى ، وبذكرنى بأن

كومة الحطام التى تبتقت منى ما زالت كائناً حياً يحس ويتألم

ويفكر ويتذكر .

اسقنيها عليها تذهب ببقية وعى وفضلة حس .. هو كل

ما يربطنى بالحياة ويشدنى إلى آلامها وأوجاعها .

إنى أكره الحياة ، لأنها شئ عويص غير مفهوم ..

إنها لغز محير .. أو قد كتب على الإنسان أن ينتهى دائماً

— مهما سلك من سبل — إلى مثل هذا المصير البائس

التعس ؟

ألا يمكن أن يغير مسلكنا فى الحياة — إذا قوّمناه —

خاتمنا الشقية ؟ أم أن الشقاء مادام قد كتب علينا فلا بد من

وصولنا إليه مهما أجهدنا أنفسنا فى تجنبه والفرار منه ؟

لو عرفت أنى سأنتهى إلى هذا المصير ، لسلكت إليه
أهون السيل . . ولو عرفت أنه سواء علينا كنا مخلصين أو
منافقين . . وسواء كنا من أصحاب المبادئ والمثل ، أو كنا
أوغاداً لثاماً . . وسواء كنا ذوى قلوب عامرة بالإيمان
والحب ، أو كنا ذوى قلوب جامدة قاسية ، فإن ما لنا واحد
ومصيرنا لا يتبدل . . لو كنت أعرف هذا للفظت بالمبادئ
وحطمت المثل ، ولسرت إلى مصيرى حتى بلغته ، جامدة
القلب ، عديمة الحس . . خائنة كاذبة منافقة . . كغبرى من
الكاذبات الخائنات المنافقات .

كنت صغيرة ، ولم أكن أتصور الحياة قط يمكن أن
تمعن بنا فى السخرية إلى هذه الصورة . . وكنت أحاول
دائماً أن أفكر بعقلى السليم وتفكيرى المتزن . . وكنت
أنظر إلى الحياة نظرة هادئة مستوعبة ، أحاول أن أضع
الشيء دائماً فى موضعه . . وكنت أهدف فى حياتى إلى أشياء
ما ظننت قط أن الحياة ستبخل على بها . . وخاصة إذا
ما سلكت إليها الطريق الصواب . . الذى يضمن لى أن
يوصلنى إليها .

كنت دائماً مخلوقة طيبة . . ما فكرت فى أن أودى
أحدأ ، أو أتكبر على أحد . . ورغم هذه السنين الطوال

التي قضيتها تحيطني مظاهر الغنى والثراء ما أحسست في قرارة
نفسى بمتعة من هذه المظاهر ، فقد كنت أكرهها وأكره أن
أتميز عن سواي بما لا فضل لي فيه ، وكنت لا أرى فيها سوى
مظاهر زائفة وشكليات تافهة لا يمكن أن تبعث في نفسى
إحساساً بميزة أو شعور بفخر .

هكذا كنت دائماً . . أرسقراطية ثرية في مجرد المظهر ،
أما فى باطنى فقد كنت مخلوقة منطوية هادئة بسيطة طيبة .
كنت أفهم الحياة جيداً ، وأدرك مدى زيف مظاهرها ،
ولذا فلم أكن أطمع منها فى أكثر مما يمكن أن تطمع فيه أية
فتاة بسيطة عاقلة ، وهو أن أكون زوجة محبة وفية لزوج
محب وفى .

ولم أكن أظن أبداً أن هذا المطلب بالأمر المستعصى ،
ولم أكن أظن هذه الأرض الواسعة ، ستدخل على فتاة طيبة
بندّ طيب . . وكنت أعتقد أن المخلوق الطيب إذا ما سلك
الطريق السوى فلا بد له أن يصل إلى هدفه البسيط المعتدل .
ومع ذلك فقد اضطربت بى ظروف الحياة ، وأجبرتني
على الرحيل عن أرض الوطن ، ولم يخطر ببالى وقت الرحيل
أن الغيبة ستطول . . بل ظننت الرحلة مطافاً قصيراً إلى
العودة منتهاه .

وكان الحلم الجميل يداعب نفسى .. وكان الأمل الحلو
يتراءى لى فى أفق الحياة المشرق .. وما أظننى كنت فى لهفتى
على صنو النفس بالشاذة التفكير ، أو المرتكبة أمراً
إدّآ . فما كنت ، كما قلت ، أكثر من فتاة ، وأى فتاة لا تتلف
إلى صنو النفس ، وتوأم الروح ، وشريك الحياة ؟

لم يكن عجيب إذن أن أتلف على الحب ، بل العجب كان
فى ألا أتلف عليه ، فتلك هى طبيعة البشر وأنا بشر قبل أن
أكون غنية أرستقراطية .. وحتى لو كانت الأرستقراطية
تتلف قلوب الفتيات وتحمد مشاعرهن وتصيهن بشذود فى
التفكير فقد كنت أنا غير ذلك ، لأنى كما قلت كنت
ضعيفة الإحساس بتلك المظاهر مبغضة لها .

وهكذا رحلت عن أرض الوطن ، وبنفسى هففة إلى
المجهول الذى يتلف عليه القلب ويحن إليه الفؤاد .
وفى خلال الرحيل صادفته .. ذلك المخلوق الذى
استطاع أن يتقمص الأمل المنشود والأمنية الحائرة .

لا أريد أن أبرر حى له ، أو أعلل أسبابه .. فأنتم
أدرى بأن الحب شىء لا يمكن تحليله ولا تبريره ، إننا عندما
نحب لا نستطيع أن نجد لحبنا أسباباً أو عللاً .. فهذا شىء
يصاب به الإنسان كإى مرض لا تجدى فيه أى وقاية .. إنه

شيء يفرض علينا فرضاً . . لا سبيل لنا إلى مقاومته ، ولا الوقاية منه .

هذا شيء مفروغ منه ، وقضية مسلم بها ، ولا أظن أحداً منكم بجاهله أو منكره ، فكما أن الإنسان لا يملك أن يوقف الصواعق ، أو يمنع الزوابع ، أو يهدى الزلازل . . فهو أيضاً لا يستطيع أن يتقى أخطار الحب ، أو يتجنبه ، أو يجعل نفسه بمنجاة منه .

ورغم كل ذلك فإنى لا أعدم المبررات التى قد تخفف من روعة هؤلاء المرتاعين ، وتحد من دهشتهم وذهولهم ، لأننى أحببت رجلاً فقيراً من غير طبقتى ا

لقد كنت فى حاجة إلى الحب ، وكان هو وحده — فى هذه الغربة الطويلة — الذى يملكه ، وبمرور الزمن وطول الغربة ، وفرط حبه وفرط حاجتى إلى ذلك الحب ، لم أملك سوى قبوله ، ومبادلتى إياه الحب المدخر فى قلبى للإلف المنتظر والخل المرتقب ا

وهكذا وجدت الحياة قد كرمت وجادت علىّ بأمنيتى ولسكنها لم تمنحنى إياها بغير ثمن . . بل بضمن كنت على أتم استعداد لأن أدفعه عن طيب خاطر .

كان الثمن باهظاً فى نظر الناس ، الناس المخدوعين بزيف

الأوضاع وأوهام المظاهر . أما في نفسي فلم يكن باهظاً بل
كان أتعفه من أن يسمى ثمناً .

لقد رأى من حولي أن حبي له ، قلباً للأوضاع وخرقاً
للتقاليد .. ونصحوني بأن أعدل عن هذا الحب ، وأنبأوني
بأنى ما زلت فتاة طائشة مخدوعة بأوهام الحب وبريقه الزائف
الخداع ، وأن هذا الطريق السرابي الشائك الذي أحاول
السير فيه والذي أتوهمه مليء بالورود والرياحين .. لن
يلبث حتى يذهب سراجه ، وتذبل وروده ، وتبدو وحشته
وقفره .

ولكني لم آبه لآرائهم .. فقد كنت مقتنعة تماماً
بمبادئى في الحب وآرائى .. وكنت أعرف تماماً أن
الطريق الذي أوشك أن أسير فيه سيحقق لى بغيتى
وينيلنى مطلبى !

وهكذا أصررت على المضى في طريقى ، وأصروا هم
على أن أتجنبه وأنكص عنه ، ولكنى ضربت بإصرارهم
عرض الحائط ، فثارت ثأرتهم وجن جنونهم ،
وهددوني بأن يحرموني من الإرث ويتخلوا عني ويعلمون
برامتهم منى .

هذا هو الثمن الذى كان علىّ أن أدفعه . . ثمن فادح فى مظهره . . بخس فى حقيقته . . لقد هتف بى القلب الخفاق النشوان : ادفعى الثمن فإنه يستحق أضعاف أضعافه .

ودفعت الثمن راضية مغتبطة ، ورضيت من أجله بأن أفقد عطف الأهل والأصدقاء ، وأن أقطع كل صلتى بمن عداه ، وأن أبدو فى نظر الناس طريدة مشردة منبوذة .

ومع ذلك فما أحسست قط بأى ندم ، وما رأيت فى فعلتى أية تضحية . . فقد كان كل ما خسرتَه من عطف ومال لا يكاد يعادل مثقال ذرة واحدة من الهناء الذى كنت أحسه بقربه .

وتزوّجنا وبدأنا حياتنا معاً .. حياة رغدة .. هائلة . . بسيطة .. كان كل همى فيها أن أهيم له الراحة ، وأبدو له قريرة راضية ، وأزيل من نفسه أى إحساس بأنى قد ضحيت من أجله ، ولم يكن ذلك بالأمر العسير ، فقد كنت فعلاً قريرة راضية قانعة ، وما كنت أحس قط أنى قد فعلت أية تضحية .

ومرت بنا الأيام الأولى للزواج ، وأنا أتمتع بقدر

من السعادة . . ما أظن أن الثراء والمظهر كانا يستطيعان أن
يهيئاً لي شيئاً منها .

لقد تحققت مبادئ في الحياة . . وثبت لي أن المخلوق
الطيب إذا ما سلك الطريق السوى ، فلن يبخل عليه القدر
بتحقيق أمانه . . وأن خير ما نفعله في الحياة لكي نضمن
سعادتنا هو أن نختار الهدف الصائب ، ثم نسلك السبيل إليه
متخطين في عزم كل ما يصادفنا من عقبات نحاول أن تجنبنا
الطريق وتغرينا بغيره .

وكان يعاودني حنين إلى الأهل بين آونة وأخرى . .
ولكن قربه كان يصبرني على فرقتهم . . وكان فرط
محبه وتقديسه لي يبعث في نفسي عزاء دائماً عن كل
ما فقدته من عطفهم ، وتقنعني أنه يستحق أن أفقد من أجله
كل شيء .

وانقضت الفترة الأولى من الزواج ، ونحن في عزلة
تامة عن الناس . . وكنت دائماً الضحك والمرح ، محاولة في
كل وقت أن أبدا ما يمكن أن يخيم علينا من سحب السامة
والملل .

وقد تتساملون : من أين تأتي سحب السامة والملل ، وعلى

من تخيم وأنا القانعة الراضية الهانئة ، وهو الذى ما كان يحلم
قط بأن يلقى مثل هذه التضحية ؟

ولكنى لا أجد مفراً من الاعتراف . . . بأنى رغم كل
ما فعلت من أجله لم أستطع أن أمنع هذه السحب من
التسرب داخل وكرنا والإحاطة به . . . وبدالى أنه لا يحاول
كثيراً أن يعاوننى فى مهمتى وأنه لم يعد يهمنى أن يكتم ضيقه .
وهكذا وجدت نفسى رويداً رويداً فى موقف عجيب
وتطور الأمر بى حتى انقلبت الآية بيننا ، فبت أستجدى
مرضاته بعد أن كان يتلهف على رضائى .

وبدأنا نخرج إلى المجتمع ، ونختلط بالناس ، فقد أدركت
أن طول الوحدة يوشك أن يعصف بحياتنا ، والتمست له
العذر فيما أصابه من ملل ، لا سيما أنى وجدته بعد طريقته
الجديدة فى العيش ، واختلاطنا بالناس ، قد عاد إلى سابق
رضاه وذهب عنه سخطه وتبرمه .

ومرت بى بعد ذلك فترة عجيبة لم أكن أدرى أنا نفسى
مبلغ رضائى عن الحياة ، ولا مبلغ سعادتى وهنائى . .
ولكن الشئ الذى كنت واثقة منه هو أنى كنت أبذل كل
جهدى لأحافظ على سعادتى . . فقد كان يفزعنى أن أجد
نظرتى فى الحياة قد خابت ، وأن نظرية من حولى قد

أصابته ! وأن قولهم عن الطريق السرابي والورود الذابضة
يمكن بمثل هذه البساطة والسهولة أن يتحقق .

لقد كرهت أن تفشل جهودي في الاحتفاظ بحياة مثلي ،
وتفشل لغير ما سبب معقول ولغير ما ذنب جناه أحد . .
سوى خمود المشاعر وركود الحياة ، وصممت على أن أبذل
كل ما في وسعي حتى لا أكون موضع شماتة الشامتين . .
وأخذت أتفانى في حبه وخدمته . . وفعلت ما لا تفعله خادمة
كرم معها القدر فأغرى بها سيدها وأقدم على زواجها . . فهي
تحاول الاحتفاظ به !

أجل ! لقد انقلب الحال فبدا كأنه هو صاحب التضحية .
ولم أكن أشك في أن المشاورة والتصميم وقوة العزيمة
والصبر يمكن أن تبلغنا أمانينا وتحقق آاربنا ، مهما بدت
صعبة التحقيق بعيدة المنال . . ولقد صدق ظني فبدأت
أستعيد رويداً رويداً أرضي المفقودة من السعادة والهناء
وأحسست أنني أنقذت حياتي من شر الملل والسآمة .

وهكذا استعدت رضا زوجي ، واستعدت هنامتي . .
باستعادته هنامته ، واستطعت أن أجزم أن ملله وتبرمه لم
يكن أكثر من عارض طارئ .

هذا هو ما استطعت أن أجزم به . . حتى حدث ذات صباح حادث بسيط تافه .

كنت في خارج الدار أبتاع بضعة حاجيات كسنا في حاجة إليها ، وكنت قد أتممت كل أعمالى التى تعودت أن أقوم بها في البيت في كل صباح من تنظيف الأثاث وترتيبه وكذلك أعددت الطعام إعداداً مبدئياً ، وتركته للخادمة حتى تتم نضجه .

وكان زوجى قد ذهب إلى عمله . . ولم يكن يعود منه قبل الساعة الثانية .

وقد عقدت العزم على أن أعود إلى البيت في الساعة الواحدة حتى أتأكد من أن كل شىء على ما يرام .

ووصلت إلى البيت والساعة تدق الواحدة ، وحدثت الخطى على الدرج حتى وصلت إلى الباب ودفعت في ثقبه بالمفتاح الذى كنت أحتفظ به معى ، وهرولت إلى المطبخ لأطمئن على الطعام ، فوجدت القدر يفور ولم أجد الخادم ، وبحث عنها في الحمام فلم أجد لها أثراً . . وكان أول ما مر بذهنى هو أنها قد هربت ، وخشيت أن تكون قد سرقت بعض الحلى والنقود ، فأسرعت إلى حبرقى لأطمئن على

الصندوق الذى أضع فيه الأشياء الثمينة وأغلق عليه دولا ب
ملابسى .

أسرعت إلى حجرتى ودفعت الباب ، ولكنى لم أتقدم
إلى دولا ب الملابس ، فما كانت بى هناك من حاجة إلى الشك
فى أنها قد سرقت نقودى أو حلى . . لأنى بنظرة واحدة
استطعت أن أتبين أنها قد سرقت شيئا أثمن من هذا .

لقد سرقت زوجى !

أجل ! لقد وجدتها هناك فى حجرة نومى ، وعلى فراشى
وبجوارها الرجل الذى ضحيت من أجله بكل ما أملك .

لقد ضحى بى هو من أجل خادم !

ومرت بذهنى فى سرعة البرق . . المبادئ السامية . .

والأهداف العالية ، والحياة المثلى ، والتضحية .

ولم أستطع أن أكنم ضحكة ساخرة انطلقت من شفتى .

إذن فقد كانت هى التى نجحت فى تبديد سآمته وتبرمه .

لقد كانت هى وحدها . . ولم تكن جهودى أو تفانى

فى حبه وخدمته وراحته . لم يكن تصميمى وعزمى ومثابرتى

وصبرى هو الذى حقق أملى فى إسعاده ، بل كانت هى !

وتخيلت الأهل والصحاب الذين ضربت بأقوالهم

عرض الحائط ، والذين قلت لهم إن الحب هو كل شيء . .



تخيلاتهم حولي يرون المنظر الذي أبصره .. ترى ماذا هم
قائلون ؟

أقسم أن أفكارهم عندما حذروني لم تكن قد وصل بها
توقع السوء والخذلان ، هذا الحد .

وران الصمت على الحجرة لحظة .. صمت الدهول
والدهشة ، ثم وجدت وجهه قد علاه الحقد والغضب ..
وسمعتة يصرخ بي أمراً إياي بالخروج .

هكذا ! أنا أخرج ؟ طبعاً .. لقد قطعت عليه متعته ..
وشاركته في خلوته .

وجن جنوني ، فقد وقع على فعله وقوله وقوع الصاعقة .
وتطائر من نفسى الحب والطيبة والخلق والهمدوء
والاستكانة .. تطائر كل هذا .. ولم يبق في نفسى سوى
إحساسى بالجرح .. ووقع بصرى على مسدسه الذى يحتفظ
به فى دولابى .. وبحركة لا إرادية مددت يدي ، وتحسس
أصبعى الزناد .. ثم ضغطت عليه .

وفى لمح البصر انطلق الدوى ، ثم وجدته أمامى يتلوى
فى الفراش متخبطاً فى دماؤه !

وأحسست براحة شديدة ، ولم يتملكنى أقل ندم ..

وغادرت الحجرة في سكون ، وارتيمت على أقرب مقعد .

• • •

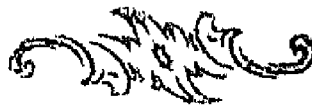
إنهم سيبرثون ساحتي .. ولكن سواء عندي البراءة أم
الإدانة .. فما عدت أهدف في الحياة إلى شيء .

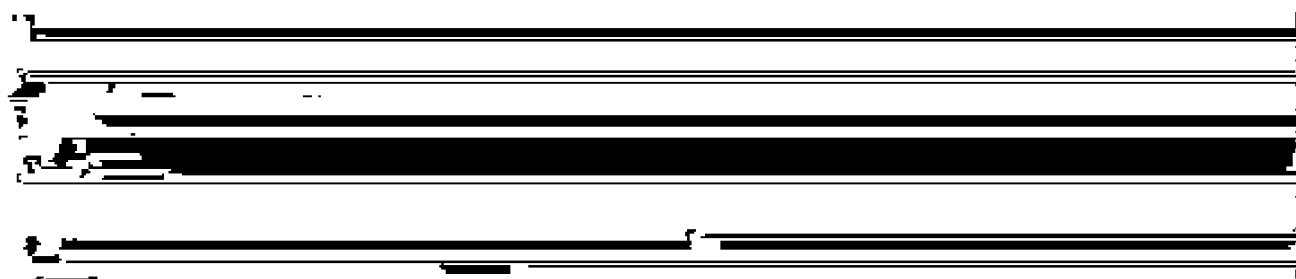
لقد كنت فتاة طيبة مصلية .. ولكنني الآن لا أشعر
في الطيبة والصلاة بأي عزاء .

شيء واحد هو الذي أجد فيه عزائي .. ولو كنت
أعرف أن هذا هو مصيري لسلكت إليه من أول الأمر
أهون السبل :

استقنيها فقد رأيت بعيني

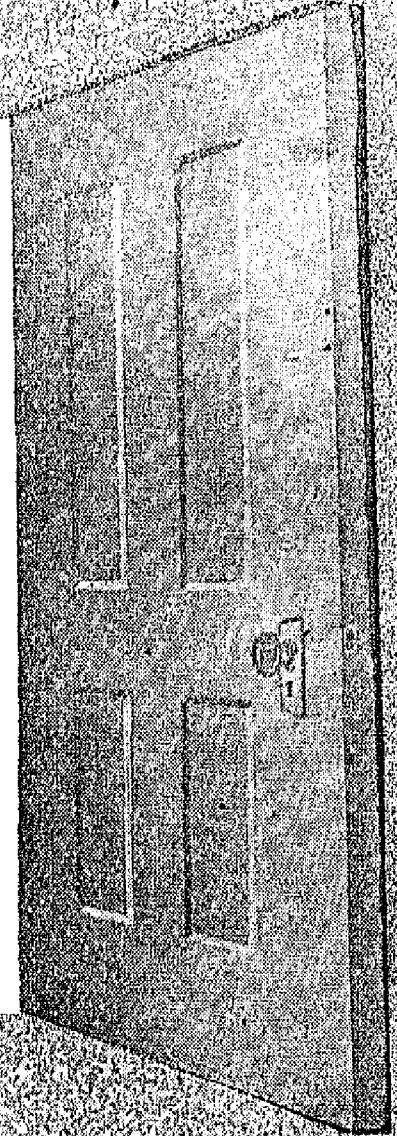
في قرار الجحيم أين مكاني





عبد مفرور

وصمت برهة .. وحلا لي أن أقبل
التجدي .. وأن أريحهم أني على
مرحبي ومبيلي الي المزاح .. قد ير
على الجند حلال المستعصى الأمور ،
وأني سأتي لهما بما لا يستطيعان .



أظن نفسي عاقلاً . . وكنت أظن التجارب
كنت والسنين قد أحاطتني بسياج منيع من الحكمة
والتبصر . . كنت أظن ذلك . . حتى حدث ما حدث فعلبت
أنى مازلت مغروراً مأفوناً .

وأنى سأظل إلى الأبد طفلاً كبيراً ، وأنى خدعت نفسي
فحملتها من الثقة مالا طاقة لها به .

بدأت القصة بلقائنا فى لبنان . . عائلتان مصريتان
تبتغيان الراحة والسكون فى مصيف هادئ .

وكان للقاءنا فرحة شديدة . . يعرفها الغرباء الحائرون
عندما يلتقون ببني أوطانهم فى أرض غريبة .

ولم يكن هذا أول لقاء لنا . . فقد كانت بيننا معرفة
قديمة نشأت عن زمالة الزوجتين فى أيام الدراسة وعن
صداقتى للزوج صداقة اللقاء العابر والتحية الخاطفة .

وجمعنا فى ضهور الشوير فندق واحد وسكن متجاور
وسرعان ما توثقت عرى الصداقة حتى أصبحينا عائلة واحدة .
وكانت عائلتى مكونة منى ومن زوجتى ومن ابنتى فى
السابعة ، وابنى فى الثالثة . أما العائلة الأخرى فكانت

تسكوّن من الزوج والزوجة وابنتهما الكبرى في السادسة عشرة وابنتهما الصغرى في الثامنة .

وكنا نكون في جلستنا شلتين . . الشلة الكبرى مكونة من الأربعة الكبار : الزوجين والزوجتين . . والشلة الصغرى مكونة من الأربعة الصغار الثلاث بنات والولد .

ورغم تفاوت الأعمار في الشلة الصغرى فقد كان الانسجام بين أعضائها تاماً والاتصال وثيقاً ، وكانت تزعمها ليلي الابنة الكبرى لصاحبي ، ولم تكن تبدو في لهُوها أكثر من طفلة غريرة لا فارق بينها وبين ابنتي .

وفي ذات ليلة وقد جلسنا — أعني الشلة الكبرى — نتسامر في إحدى شرفات الفندق سمعنا صراخاً صادراً من حجرة الأولاد فصاحت زوجة صاحبي تنسامل ، وقد استطاعت أن تميز في الصراخ صوت ابنتها الصغرى .

— ما بك يا كوثر ؟

وسرعان ما أطل علينا وجه ليلي وعليه سيماء الغضب وأجابت أمها :

— لقد ضربتها ياماما . . لأنها مزقت فستان العروس

الذى صنعتها لها . . ورسمت بالقلم فى إحدى كراساتى ، وقد
حذرتها من ذلك مائة مرة .

— اسكتيها ياليلي وصالحها . . فلست أريد أن أسمع
صوت بكائها . . . كوني عاقلة ياليلي فإنك أنت الكبرى .
— وماذا أفعل لها ؟ لقد غاظتنى . . ولا بد أن أودبها .

وهزت ليلي كتفها ثم اختفت داخل الغرفة .
ووجدت الأب يهز رأسه أسفاً ويضرب كفأ بكف
ويقول :

— لست أدري متى ستكبر هذه البنت . . فيما مضى
كانت البنت لا تبلغ السادسة عشرة وإلا وقد صارت امرأة
لها ثلاثة أولاد . . واليوم قد بلغت السادسة عشرة فهي
ما زالت تتعارك مع أختها من أجل فستان العروسة . . ترى
متى تعقل وتكبر ؟

وضحكت . . إذ لم أر المسألة تستحق كل هذا الأسف من
صاحبي وقلت له مهدئاً :

— بكره تعقل وتكبر . . دعها تتدلل فى كنفك وفى
عزك . . علام العجلة ؟

— أظن ستة عشر عاماً كانت كافية لأن تعقل وتكبر
وتقدر . . ولكنها للأسف لا تقدر شيئاً .

— وماذا تريد منها أن تقدر ؟

وأجابت الأم ضاحكة :

— تقدر طبيعة الأوضاع في الحياة . . وتفهم أنها لا بد أن تصبح عما قريب زوجة مسؤولة عن بيتها وزوجها وأماً مسؤولة عن أولادها .

— هذه أشياء ستفهمها مع الزمن .

— إنها لا تريد أن تفهمها . . إنها لا تريد أن تفهم سوى اللعب والعرائس والمدرسة والتلميذات .

— ولكن ماذا يقلقكما من هذا ؟ وأي شيء يدعوكما إلى التعجل فيه ؟

— يقلقنا أنها مخطوبة . ولكنها ترفض ، الخطوبة . . ترفضها وتثور عليها بطريقة صيدانية جاهلة بلهاء . . كأنها تظن أنها ستظل طيلة عمرها صديقة تلعب في بيت أبيها .

— ولكنها على أية حال صغيرة ، وليس هناك خوف من أن تفلت منكما فرصة خطوبتها هذه . . إن الفرص مازالت كثيرة .

وساد الصمت برهة أشعل الأب فيها سيجارته ثم عاد يدلي بحجته قائلاً :

— أولا . . هي ليست صغيرة بل كما قلت لك فتاة في السادسة عشرة يعنى امرأة ناضجة . . وفترة الخطوبة قد تستغرق سنة أو سنتين . . فهى والحال كذلك لن تتزوج قبل الثامنة عشرة ، ولا أظن هذه السن تعتبر غير ملائمة للزواج . أما من حيث أن الفرص مازالت كثيرة فأنا لا أرى هذا . . إن الخطيب شاب مثالى لا عيب فيه ولا هنة . . إنه مهندس نابغة . . كريم الخلق ، طيب الأصل . . وافر الثراء . . حسن المظهر . . كل شىء فيه ممتاز . . ولست أظن الإنسان يصادف مثله كثيراً فى الحياة . . فمن الغباء أن نرفضه لمجرد أنها لا تفهم طبيعة الأوضاع فى الحياة . . إنى أعتقد أن هذه الفرص لا تقبل على الإنسان إلا مرة واحدة . . فمن الحق أن نتركها تفلت .

ووجدته على حق . . فالفتاة ناضجة شكلاً وجسداً . . وفرص الزواج الصالحة ليست متعددة فى أيامنا هذه ، فإذا كان الخطيب ، كما وصف ، فمن الحق رفضه . . إن الفتاة الحكيمة المدللة لا تريد الزواج لأنها لا تعرف ما هو الزواج . . ولأنها تظن أنها يجب أن تظل هكذا ترتع فى كنف أبيها .

وعجبت من ظروف الحياة . . كيف يبتلى بعض الناس

بالنعم . . لأن حالة هذه البنت يعتبرها بعض الناس نعمة
فأنا أعرف إنساناً يشكون من فجور بنات هذا الجيل ومن
أن البنت أضحت وهى فى الثانية عشرة تفهم كل شىء ، وأنها
عندما تبلغ الرابعة عشرة يحطم قلبها ما لا يقل عن عشرة
حوادث عشق . . وفى السادسة عشرة تشكو من أنها أضحت
عانساً باثرة .

ولم أملك سوى الضحك وقلت لصاحبي وزوجته :
— يبدو لى أن الذنب ذنبكما . . فقد كان يجب عليكما
أن تتفاهما مع البنت وتصادقاها ، وألا تتركاهما هكذا تمضى جل
وقتها مع الأطفال الصغار وألا تعاملاهما كما تعاملان أختها
الصغرى . . على أية حال لست أرى المسألة مستعصية الحل
ويخيل لى أن حلها يحتاج إلى بعض الصبر فى محاولة إقناعها
وإفهامها .

— لقد حاولت عبثاً أنا وأمها . . إن عقلها زاخر
بالتفاهات . . إنه لم ينضج بعد . . بل هو ما زال عقل طفلة
غريرة .

— لا . . لا . . هذا كلام لا أفهمه . يجب أن تبذلا
بعض الجهد .

وأجابت الأم يائسة :

— لقد بذلنا كل ما في وسعنا لإقناعها بقبول الخطيب
ولكن جهدنا ذهب سدى .

— الجهد لا يكون بإقناعها بقبول هذا الخطيب بالذات
بل يجب أن يبذل الجهد لإفهامها طبيعة الحياة . . . وتوسيع
مداركها وإيقاظ وعيها ونقل تفكيرها من تفكير طفلة إلى
تفكير امرأة يجب أن تخرج من ذلك الركود الذهني .
— لا فائدة .. إنها مصرة على أن تكون طفلة .. ومصرّة
على رفض الخطيب .

ولكني مع ذلك لم أقنع بأن حالة الفتاة مستعصية الحل ،
بل بدا لي أنه يمكن علاج الفتاة بشئ من الأناة والصراحة ،
وخيل إليّ أني أستطيع أن أمد يد المساعدة وأنى قدأكون
أقدر منهما على تنمية تفكير الطفلة لاسيما وأنه لا يقوم بيني
وبينها ذلك الحجاب الثقيل من احترام الأبوين وخشيتيهما .
أجل . . . إنني أقدر بلا شك على التفاهم معها . . . فأنا
مخلوق مرح مهزار لا أعتبر كثيراً قيم الأعمار والمراكز . . .
بل كثيراً ما أندمج في اللعب مع الأطفال حتى كأني
واحد منهم .

والطفلة نفسها لا تنفك تدعوني إلى اللعب معهم مناديتي

مازحة . . بـ « أنكل جو » سائلة إياي أن أصنع لهم طائرة
أو زمارة .

ولم أكن أرفض اللعب أو أخجل منه . . رغم ما كنت
أتهم به من الهياقة . . بل كنت أقضى الساعات لاهياً عادياً
قافزاً واثباً . . مستمعاً إلى شكواهم . . قاضياً في نزاعهم . .
وهم يمسكون بخناقى ويتواثبون على كتفى .

كنت أنا الذى أهبط إلى مستوى الطفولة التى ترتع فيه
البنية . . وكانت هى التى تشدنى إليها . . من أجل الضحك
والمرح واللعب .

أفلا أستطيع — وأنا « أنكل جو » صديقها الحميم —
أن أرفعها مرة إلى مستوى الفهم والإدراك والتقدير . . من
أجل مستقبلها ؟

دار كل هذا فى رأسى خلال فترة الصمت التى أعقبت
النقاش . . ويبدو أن المناقشة بين ثلاثتنا أنا والأب والام ،
كانت لا بد مؤدية إلى نفس التفكير فى الرؤوس الثلاثة . .
وإن مادار فى ذهنى قد انعكست منه صورة فى كل من ذهنيهما
فقد سمعت الام تضحك ضحكة خافتة ثم تقول :

— لم لاتجرب أنت ؟ فقد تستطيع أن تنجح فيما فشلنا

فيه . . حاول أن تخرجها عن ذلك اللعب الصبياني . . فتقدم
تفهمك وتستمع إليك . ألسنت صديقتها الحميم « أنكل جو » ؟
وضحكت زوجتي وقالت مازحة :

— لا تنتظري منه خيراً .. إنه لا يصلح في أعمال الجد
قط . . إنه لا يجيد سوى اللعب بالنحلة والطيارة . . إنه هو
نفسه في حاجة إلى من يرفعه من مستوى الطفولة .
وصمت برهة . . وحلالي أن أقبل التحدى . . وأن
أريهم أني على مرحى وميل إلى المزاح . . قد ير على الجد
حلال لمستعصي الأمور ، وأنى سأتى لهما بما لا يستطيعان .
ورأيت الثلاثة يرمقونني وعلى شفاههم ابتسامة انتظار .
فقلت متحدياً :

— دعوها لي .. إنني كفيل بها .. إن تعود من المصيف
إلا وقد قبلت الخطيب . . من يراهن ؟
وأجاب الأب ضاحكاً :

— لا داعي للرهان . . فإنك لاشك خاسره . . يكفي
أنك ستضيع وقتك عبثاً .

— بل إنني أقبل الرهان أيّاً كان . . خمسة جنيهات الخمسة .
ما رأيكم ؟

— حسناً .. قبلت .

وغادرنا الشرفة ضاحكين . . وفي اليوم التالي بدأت العمل .. لكسب الرهان ولكسب مستقبل الصبية وإنقاذها من تفاهة تفكيرها .

وكنت أظن المسألة لن تستغرق مني أكثر من جلسة أو جلستين .. أفهم الصبية خلالها أنها قد كبرت وأنها لا بد أن تتحمل مسئوليتها في الحياة كزوجة وأم .. وأشرح لها متعة الحياة التي توشك أن تقبل عليها .. وكيف سيكون لها بيتها وكيانها المستقبل . وكيف ستكون ربة أسرة وسيدة بيت . لقد أخذت أحضر كل هذا في ذهني كما يعد المحاضر محاضره .. وكنت أعتمد كثير على لباقة لسانى وقوة إقناعى وعلى ثقة الفتاة بى وعلى التفاهم الذى نشأ بيننا فى اللعب ، والمرح .

وصحبتها فى نزهة قصيرة فى الجبل فى الصباح المبكر .. زاعماً لها أنى أريد أن أريها عشاً للعصافير مليئاً بالبيض الملون . وقالت لى وهى تشير بأصبعها مهددة :

— إياك أن تكون كاذباً .. إنى لم أر من قبل بيضاً ملوناً للعصافير .

— سترين بعينك أننى لا أكذب .

— لم نأخذ معنا سامية ونادية وجمال .

— إنهم مازالوا نائمين ولو تأخرنا لفقس البيض .

وسرت وإياها فى الطريق الجبلى الضيق ، نهز أيدينا
المتشابكة ونصفر فى مرح وجدل حتى بلغنا صخرة صغيرة
أشبه بالمقعد تشرف على سفح الجبل المكسو بأشجار الصنوبر
فطلبت منها الجلوس .

ولكنها سألتنى مستفسرة :

— أين العش ؟

وأخذت أتلقت حولى متصنعاً الدهش قائلاً :

— عجباً .. كان هنا بالأمس ياليلى .. أين ذهب ؟

لقد كان فوق هذه الشجرة بالذات . لا بد أن تكون الأم
قد نقلته . . على أية حال دعينا نستريح . . ونتحدث
برهة .

وجلست بجوارى ونسيم الصبح الرطب يلفح وجهينا
والشمس ترسل مقدماتها الأرجوانية من وراء الجبل .
وبدأت المحاضرة .. محاضرة أقسم لكم أنها تعتبر من روائع
الكلم . . وأحسست خلالها بإعجاب بنفسى وبقوة منطقى

وذلاقة لساني . . وتوقعت في نهايتها . . أو حتى قبل نهايتها
أن تتركني الصبية وتعود راجعة إلى أبيها . . ثائرة عليهما
لتركها حتى الآن بلا زواج .

ولكن المحاضرة بلغت نهايتها والفتاة مازالت جالسة
بجوارى وقد أخذت تتسلى بقضم أظافرها .
وقلت لها ناهراً :

— ليلي . . كفى عن قضم أظافرك . . لقد كبرت . .
وكان مفروضاً عليك أن تتركي أناملك تنمو وتطليها بالمانكير
بدل أن تقضمها حتى يبدو لحم أظافرك .

ثم صمت برهة تمالكت فيها نفسى وقلت مترفقا :
— مارأيك ياليلي بعد كل ما قلت . . ألا توافقين على
الخطبة ؟

— لا . . لا يا أنكل جو . . لا أريد الزواج .
— لمَ ياليلي يا حبيبتي ؟ . إنك لم تعودى بعد طفلة ؟
— ولماذا أتزوج وأنا أشعر بمنتهى السعادة في حياتى
هذه . . إن لى ما أريد . . وأبى وأمى لا يبخلان على بشىء
وهما يذهبان بى إلى السينما وقتما أشاء وما من شىء أطلبه إلا

ويحضرانه لى . . ألا تعلم أنهما سيتأان لى دراجة . . بمجرد
عودتى إلى مصر ؟

سأتعلم ركوبها . وسأعلم نادية . . وإن لم تتعلم سأحملها
ورائى على المقعد الخلفى وسأزورك بها . . هل تجيد ركوب
الدراجات يا أنكل جو ؟ .

وأجبتها بزفرة حارة . . ونفخة مليئة بالياس ونظرت
إليها شزراً وأنا أضغط على أسنانى .
وسألتنى فى سذاجة وبراعة :

— ماذا أغضبك يا أنكل جو ؟ ألا تعرف ركوب
الدراجة ؟ . . إنى أستطيع أن أعلمك بعد أن أتعلم أنا .
ولم أجد هنا فائدة من المناقشة .

ماذا أقول لهذه الحقاء الصغيرة . . وقد انتهت بها محاضرتى
القيمة عن طبيعة أوضاع الحياة وفوائد الزوجية . . و . .
و . . إلخ . إلى أن تعرض على أن تعلمنى ركوب الدراجات
وسحبها من يدها وعدنا أدراجنا . . وهى مازالت تحدثنى
عن الدراجة التى سيحضرها لها أبوها .

وخجلت بالطبع أن أعرض عليهم نتيجة محاولتى . .

وصممت على ألا أبأس . . وعلى أن أحاول مرة ثانية .
أجل . . لقد اقتنعت بخطأ الطريقة التي اتبعتها ، وعزمت
على أن أحاول بطريقة أخرى . . كان من الحق أن أحاول
النجاح بسرعة فأتبع الطريق المباشر القصير . . بدل أن
أتبع الطريق الطويل غير المباشر . . الذي يحتاج إلى أناة
وجدوروية . . ، والذي لا تبدو نتيجته جلية واضحة . .
ولسكنها ستأتي مع الزمن .

لقد فشلت طريقة الإقناع بالمحاضرات . . فعلى أن أتبع
طريقة الإقناع العملي .

وفي اليوم التالي صممت على أن أسألها الخروج معي في نزهة
مبكرة . . ولم أكن في حاجة إلى التعلل بعش العصافير والبيض
الملون . . فقد عرضت الخروج من تلقاء نفسها قائلة إنها
استمتعت بنزهة الأمس .

وخرجنا في الفجر نضرب وجدنا في الجبل . . ولم
أحاول قط أن أحضرها . . أو أن أرفعها إلى مستوى
التفكير والتبصر . . بل رحت أعدو وراءها وتعدو ورائي
وجدنا في النهاية وبجهد من الخدوش والجروح التي أصابتني
نتيجة تسليقي لإحدى الأشجار لأحضر لها بعض الزهور .



واستمرت نزهاتنا يوماً بعد يوم . . وفي كل يوم يقل
العدو واللعب . . ويزداد الهدوء والتأمل والتمتع .

لم أحاول أن أفعل شيئاً .. ولكن النسيم الرطبة الخفاقة
والشمس المتشائمة وراء الأفق .. والورق الهتوف والبلابل
الصادحة .. والأوراق الخضراء تترنح وتتمايل على سفح الجبل
قد فعلت شيئاً كثيراً . . أكثر مما أتوقع . . وما أحتمل .

لقد بدأت الصبية الطائشة التافهة . . ذات الطيارة ،
والزمارة والدراجة . . تتمهل في سيرها وتكف عن
عدوها . وأضحت تتوقف بين آونة وأخرى لتشير بإصبعها
إلى هنا أو هناك ، ثم تهتف في لهجة لينة وصوت حنون :
— أترى هذا الغصن المحمل بالزهر ؟! أنظر كيف يحركه
النسيم . . إن القليل من الناس هم الذين يفتنون إلى جمال
الطبيعة .

— نعم .

— أرايت أجمل من شروق الشمس يا أنكل جو ؟
أجل .. لقد تبدل حديثها إلى « أنكل جو » ، من حديث
عن العرائس والدراجات إلى حديث مليء باستيعاب جمال
الكون وفتنة الطبيعة . . وخفتت صرخاتها الجوفاء الضاحكة

فأضحت همسات حنونة أشبه بالزفرات . . . و . . . أنكل جو ،
بين هدوئها وتأملها وحديثها وهمسها ، يرقب التطور حائراً
وجلاً .

لقد كنت أستطيع أن أجزم من ذلك الهدوء أنى قد
كسبت الرهان . . . أو على الأقل أوشك أن أكسبه .

إن الفتاة قد تبدلت وخرجت عن سربال الطفولة . .
وكسرت البيضة التي كانت تضمها وتحجب عنها كل ما يتفتح
عليه ذهن الفتاة وقلبها في هذه السن وكشف لها ما يجب أن
تهفو إليه روحها وتصبو إليه نفسها .

كان هدوء الفتاة وسكينة قلبها . . . بشائر انتصارى .

ولكنى كنت أوجس خيفة . . . خشية أن يكون
هدوء آينبيء عن عاصفة أو سكينة تستيق ثورة جامحة لا يعلم
إلا الله مداها .

كنت أخشى الفتاة .

وشر من هذا . . . كنت أخشى نفسى .

كنت أخشى على كليتنا من الآخر .

وبينت الأيام أنى كنت من خشيتى على حق .

أذاك أمر غريب ؟

قد يبدو كذلك . . ولكن لو حلل كلانا تحليلاً صادقاً
لبدا الأمر غير عجيب .

ولو كنت أكثر حكمة وتبصراً لما زججت بنفسى فى هذا
المأزق . . ولما نسيت نفسى فحملتها ما لا تحتمل من الثقة .

كيف كانت ليلى الصغيرة ؟ وكيف كنت ؟

كيف كانت التجربة . . وكيف واجهتها ؟

وسط خمائل الجبل ، وبين الورق الهاتفة . . نسير
متجاورين فى كل فجر . . فإذا ما جلسنا شردت الصغيرة فى
الآفاق البعيد ومدت يدها فى صمت تتلمس يدى . . فتعانق
أصابعها أصابعى وتلاصق كتفها كتفى . . وتظل شاردة
لا تنبس ببنت شفة .

فإذا ما هممت بسحب يدى ضغطت عليها مستبقية . .
وإذا هممت بالنهوض نظرت إلى نظرة استعطاف ثم سألتنى :
— أتضايقت سريعاً ؟ أما نجلس هنيهة أخرى ؟ إن
الوقت ما زال مبكراً ؟

وكنت لا أملك إلا الجلوس واستبقاء يدها فى يدى .
وهكذا كنا نجلس . . صمت فى صمت . . ولا شىء
سوى الصمت المطبق والأصابع المتعانقة والأكف الضاغطة .
وكنت أشعر أنه يجب أن أوقف هذه النزعات . . وأن

أكف عن هذه الخلوات رغم أنه لم يشبها قط شيء ظاهر .
أجل . . كنت في باطني أحس أن ما لا يجب أن يحدث
يوشك أن يحدث إن لم يكن حادثاً بالفعل . . إن الظاهر
صامت برى . . ولكن الباطن صاحب والحشا تضج .
كان يجب أن أوقف كل هذا . . وأن أضع له حداً . .
ولكني كنت أفزع من أن أخدش مشاعرها . . أو أسبب
لها ضيقاً أو حزناً .

وكنيت أنا نفسي — رغم كل مقاومة — قريراً بالجلسة
الصامتة . . والأكف المتشابكة .

لقد انتزعتني الصغيرة . . من كبرى وتجاربي وعقلي . .
كما انتزعتها من طفولتها وتفاهتها . . ولعبها . . لقد انتزع
كلانا صاحبه مما كان فيه من الركود . . والتقينا في منتصف
الطريق . . بمشاعر مستعرة . . وأحاسيس متأججة .

ولقد كبحت جماح نفسي جيداً . . وبذلت المستحيل حتى
لا أنسى نفسي وموضعي . . ولا أندفع وراء القلب الأحمرق
الخفاق . . فأقدم على أجنح حب يمكن أن يقدم عليه إنسان . .
حب لا يمكن بأية حال أن ينتهي إلى نتيجة معقولة .

ولا أنكر أنني أفلحت . . إلى أقصى حد . . وأني لم أكن
أفعل سوى الجلوس بجوارها والشرود وترك يدها في كفي

مسترقاً البصر من آن لآخر إلى جانب وجهها الخلو ، وأنفها
الدقيق وخصلة شعرها المهتزة على جبينها ثم أحول بصرى
سريعاً عندما أشعر أنها قد أحست بنظراتى وبدأت تحول
إلى عينيها . . كنت أتجنب دائماً التقاء العيون .

لقد أفليحت فى هذا .. حتى جلسنا ذات فجر كما نعوّ دنا أن
نجلس وأحسست ييدها تزداد ضغطاً على يدى كأنها كانت
تقول لى شيئاً . . كنت أفهمه جيداً .

وأخذت أرقب جانب وجهها والخصلة المهتزة على
جبينها .. حتى وجدتها تلتفت إلى .. ورأيتها تضغط بأسنانها
على شفيتها السفلى كأنها تقاوم فى باطنها ألماً شديداً .
وعندما التقت أبصارنا اندفعت فى بكاء شديد .

ولم أملك إلا أن أضربها إلى وأخفى وجهها فى صدرى
وأخفى وجهى فى شعرها .

وظللنا على ذلك حتى كفت عن البكاء ثم عدنا أدراجنا
وكان من الجنون أن نستمر على ذلك . . فما أظن نفسينا
كانتا تستطيعان أن تحتملا أكثر .

وكان على بعد ذلك أن أفعل شيئاً . . فانهزت فرصة
ذهابها هى وعائلتها إلى دعوة فى صوفر ، وحزمت أمتعتى
وعدت وعائلتى إلى القاهرة فى أول طائرة .

لقد عدت وأنا أشبه بالهارب المذعور .. الذى أطلق
للريح ساقيه .. فراراً من خطر داهم .

أترى كنت فى فرارى جباناً ؟ !
كنته أو لم أكنه لقد كان هذا هو الطريق الوحيد لوضع
نهاية للأمر .

لقد كان على أن أحتمل ألم الفرقه معها كان .. من أجلها ..
ومن أجل نفسى .

لقد تركتها بلا وداع .. فشر ما فى الفراق وداعه .
لقد غادرتها بلا إنذار .. إلا من رسالة قصيرة ..
وضعتها تحت حجر حيث تعودنا أن نجلس وحيث كنت
وائقاً أنها وحدها .. التى تستطيع أن تعثر عليها .

ومازلت أذكر ما كتبت وأحفظه عن ظهر قلب :
« أشعر ياليلى أننا قد وصلنا إلى حيث يجب أن نفترق
إن لى سبيلى ولك سبيلك .

ولقد أشركتنا الأقدار الهوجاء برهة فى سبيل واحد
وكان ذلك منها تجربة قاسية مريرة .

فقد كان من المستحيل أن نستمر فى السبيل المشترك
أو يجذب أحدهنا الآخر إلى سبيله .

ولذلك فقد آثرت أن أتركك ملثاعاً محزوناً ..

بلاعزاء عن فرقتك .. سوى تلك المتعة التي جنيناها من لحظات
سيرنا في الطريق المشترك .

لقد بدأت المسألة بيننا بسبب رهان . . فالتقد را هنت
أباك أنى سأخرجك من طفولتك وسأجعلك تقبلين خطيبك
وأرجو ألايخذلك قولى .. وأن يعزىك عنه .. إننى - بكل
حق - خرجت من كبرى وحدث عن غرضى وأحببتك
فعلا .

أرجو أن تساعدنى على كسب الرهان . . وأن تقبلى
خطيبك . . وتسلكى سبيلك الخاص بك . . فإن هذا
سيكون لى خير عزاء .

ليسر كل منا فى سبيله .. ولنجعل من حبنا ذكرى حلوة
تعيننا على تحمل مشاق الحياة .. وتسعدنا عندما تطبق علينا
همومنا .

أجل لنجعل حبنا بارقة نلتفت إليها كلما خضنا ظلمات
الحياة .

أليس هذا خيراً من أن نجعله ناراً تحرق قلوبنا
وتدمر كياناتنا ؟

مزق رسالتى تلك . . حتى لايبقى بيننا إلا مايستتر
فى القلوب .

وإذا كنت تنوين أن تحققى رجائى .. نخذى الرهان من
أبيك واجعليه هديتى فى عرسك .
ولم ألقها بعد ذلك إلا وفى يدها طفلها ، وأقبلت على
تشدد على يدي فى شوق وتقول ضاحكة :
— كيف حالك ، يا أنكل جو ؟ هذا هو ابنى .. «جو»
الصغير .

لم لم تسأل عنى ؟ لقد جعلتك تكسب الرهان ولكنى
لم أمزق الرسالة .. لأنى جعلتها كما قلت فيها :
« ذكرى حلوة . . . تعيننا على تحمل مشاق الحياة ..
وتسعدنا عندما تطبق علينا الهموم . . »



رحيل خدوع

آه لو علم وقتذاك مدي حقارتهم
وتفاهتهم . . وآه لو يعلم أن هذا
الجنس ليس أكثر من وسيلة للتسلية
والترفيه .

آه لو علم هذا . . لو فر على نفسه
الآلم واللوعة .

ولكنه كان معذوراً . . فقد
كان الحب الأول . . وكانت الصدمة
الأولى .

الله الحب ورعاه .. فقد أضحي له في نفسي

منزلتان : الأولى كشيء ممتع يملأني بالسعادة
عندما يغمرني كما يغمر كل إنسان .. والثانية كمورد رزق
أعيش منه ككاتب قصة احترف الكتابة .

أجل .. إنني أفيد من الحب مرتين : مرة عند التمتع به
كحقيقة واقعة .. ومرة عند الكتابة عنه كذكريات عابرة .
ففي الأولى أفيد متعة الحب ، وفي الثانية أفيد لذة السكسب .

إنني لأعترف أنني كثيراً ما أصاب بتبلد ذهني أشعر معه
برغبة عن الكتابة .. وأحس بالقلم في يدي ثقيلاً مكسلاً ..
بطيء الحركة كأنه السلحفاة .. واقفاً في مكانه وقفة شتيرة ..
وتمر بي الأيام وأنا مضرب عن الكتابة وقلبي معرض عني
حتى يقترب موعد القصة .. ولا تصبح المسألة مسألة
« كيف » بل مسألة واجب .. لا بد من تأديته .

ويضيق بي الحال .. فألجأ إلى الحب وذكرياته أستثيرها
في نفسي .. وأوقظها من هجعتها .. وأستاقها كي تستحث القلم
المضرب المعرض .. فإذا بها تفعل بي وبه فعل السحر ..
وإذا بالقلم المتخاذل قد اندفع على الورق .. كأنه فرس رهان

وقيل أن أبدأ قصتي هذه .. أحسست بذهني ذلك
التبلد والركود .. وأمسكت بيضعة صور لفتاة أعطانها
صاحب فنان عليها تصلح لبعض القصص .. وأخذت أقلب فيها
البصر .. ولم أكن أعرف من تكون الفتاة .. فما رأيتها من
قبل .. وكل ما أعرفه عنها أنها حسناء حاول أن يتخذ منها
المصور نموذجاً لفنه .. ورأيتني أتوقف عند إحدى الصور
لأمعن البصر فيها قليلاً .. ورأيت الذهن يصحو من غفوته
ثم يعود بنى القهقري إلى زمن ولّى .. حتى يقف أمام صورة
من صور الماضي .. ما أشبهها بهذه الصورة .. الملقاة —
أو المستلقية — أمامى .. لا فرق بين إحداها والأخرى ..
إلا أن الأولى من دم ولحم ، والثانية لا تعدو ظلالاً على
ورق .. الأولى صادفتها منذ خمسة عشر عاماً فكانت لى —
فى فترة ما — كل شيء .. كانت الروح ، وكانت الحياة ..
والثانية أقلبها الآن بين يدي .. فلا أجد فيها أكثر من
صورة .. أتصيد بها ذكريات عابرة .. ذكريات .. هي كما
قال الأستاذ الشناوى (صاحب الخطايا) :

« شديتني .. شديت حتى صبايا .. »

تبدأ القصة فى المدرسة الثانوية الملكية (الخديوى

اسماعيل الآن) . . منذ خمسة عشر عاماً أى فى حوالى عام ١٩٣٢ . . وقد جلس الصبية فى أحد فصول السنة الثالثة . . بينما أوشك الجرس أن يؤذن بانتهاء الحصة الأخيرة . . وبدأ الصبية قلقين متلهفين على الانطلاق من الحجرة كأنهم أسرى طال بهم الشوق إلى أوطانهم ، وقد جهزوا كتبهم ووضعوها بجوارهم على المقاعد ، حتى لا يضيعوا لحظة واحدة فى الفصل بعد أن يقرع الجرس .

قرع الجرس . . وهبت المدرسة كلها فى هرج وطين كأنها خلية نحل . . وتكأ كأ الصبية على الباب يتسابقون إلى الخروج كأن بداخل المدرسة من يسوقهم بالسياط أو كأنما ينتظرهم خارجها كنز أو وليمة . . فلا يكادون ينفذون من الباب حتى يتفرقوا شيعاً وأفواجا ، فالبعض إلى ميدان لاظوغلى ، والبعض إلى شارع خيرت ، والبعض إلى ميدان السيدة أو المنيرة .

ودلفت ثلة صغيرة فى شارع خلف المدرسة فى تلك الجهة المعروفة باسم جنينة رشيد ، وسار الصبي بينهم وقد انزلق طربوشه على مؤخرة رأسه وأخذ يطوح بحقيبته فى يده ويقذف بقدمه كل حصاة أو حجر يصادفه ، حتى بدا طرف حذائه من فرط اصطدامه بالحجارة حائل اللون أجرب .

وتوقف الصبية أمام سور حديدى لدار نخمة ، وأخذوا يطاون من خلال السور على الحديقة الغناء . . فقد أثار إعجابهم بعض الورود المتفتحة الياقة ، وأخذوا يتآمرون على قطفها ، وهموا فعلا بالتسلل إلى الداخل ، ولكنهم لمحوا الحارس قد أقبل ، فلم يسعهم إلا أن يولوا فراراً قانعين من الغنمة بالإياب .

ولكن الصبي لم يقنع بالإياب ، فقد كانت بنفسه لهفة إلى الغنمة ، إذ وجد فى الورود خير وسيلة يتقرب بها إلى تلك الصبية الفاتنة التى قطنت حديثاً فى الدور الأسفل ، وعاد الصبي إلى داره وقد أخذ يحكم وضع الخطط فى رأسه ، وكان أول ما أنبأ به أهله هو أنه سيعود إلى المدرسة لأن لديهم حفلة فى هذا المساء ، ولم يكمد الظلام يخيم حتى انطلق من الدار إلى حيث الغنمة .

واقترب من السور فلمح الحارس قابلاً فى مكانه ، فاستمر فى سيره حتى وصل إلى حجرة قبالة الدار فجلس عليه يرقب غفلة من الحارس ، ولم يطل به الانتظار فقد أبصره يغادر مكانه .

ووجد الصبي الفرصة قد سنحت أخيراً ، فقفز من مكانه ودلف من الباب مسترقاً الخطأ ، وأخذ يتسلل فى الحديقة



حتى وصل إلى الورود وكان القمر قد غمر المكان بضوئه ، فلم يجد صعوبة في العثور عليها ، وأخذ يقطفها الواحدة تلو الأخرى ، حتى أحس فجأة بحركة بجواره فأصابه فزع شديد وتلفت حوله إلى مصدر الصوت ، فتصيب العرق بارداً من جبينه ، وأحس بارتباك شديد .

ويحه !! لقد كان هناك من يرقبه منذ أن بدأ سرقة ، لقد أبصر بوجه ساحر افتر عن ابتسامة عذبة فاتنة ، وبعينين ضاحكتين قد أخذتا ترقبانه في لين ودعة ، وقد اضطجعت صاحبتهما فوق الحشائش الخضراء متخذة من ذراعيها العاريتين متكأ تسند إليه رأسها وشعرها الفاحم .

واضطرب الصبي ، ولكن ابتسامة الفتاة أعادت إلى نفسه الطمأنينة ، فأبعد عن نفسه فكرة الفرار ، إذ كره أن يبدو أمامها بمظهر اللص الرعيد ، وأخذ يجهد رأسه في عذر ينتحله أمامها كي يبرر به موقفه .

وأشار لها بتحية خفيفة من يده ، فتهضت متكئة على إحدى يديها وردت عليه التحية ، وتكلم هو بصوت هادئ متزن فرجاها أن تنزيء البواب بأنه قد قطف الورود التي طلبها ، عبد الرحيم بك ، وأنه سيحملها إليه بنفسه ، ثم أعطاها ظهره وانساب إلى الباب في هدوء

وسكون . . ولم يكده يتعد قليلا ويختفي عن ناظرها حتى أطلق ساقيه للريح .

وبات ليلته يحلم بذلك الوجه الباسم الذى اضطجع على أرض الحديقة والذى ضبطته صاحبتة متلبساً بجريمة السرقة . واستيقظ فى الصباح فوجد الوجه مازال يشغله فى يقظته كما شغله فى نومه . . وذهب إلى المدرسة . . وتتابع عليه الدروس . . وهو لا يفهم كلمة مما يقال . . فقد كان ذهنه شاردآ فى عالم آخر . . وكانت عيناه لا تبصران سوى صورة الفتاة راقدة تبسم له .

وانتهت الدراسة فتعمد أن يتأخر عن رفاقه . . حتى يعود وحيدآ فقد كانت بنفسه لهفة إلى أن يراها مرة أخرى ولكنه لم يلح لها شبحآ فى الحديقة أو فى الدار .

ومرت الأيام وصورة الفتاة قد شغلته عن كل شيء . . حتى عن تقديم الورود إلى صاحبتة التى قطفها من أجلها . . وحاول جهده أن يبصرها مرة ثانية . . ولكن الفشل كان نصيبه حتى بات يخشى أن تكون الفتاة طيفآ صورت له الأوهام فى تلك الليلة .

وأخيراً . . رآها . . على غير ترقب منه أو انتظار . . وأحس بارتباك شديد . . وحاول أن يستعيد لنفسه تلك

الأحاديث التي كان يعدّها ليلقيها إليها في أول لقاء .. ولكن كل شيء كان قد تطاير من رأسه .. وأحس بأنفاسه تتلاحق وخيل إليه أنه قد بات يسمع دقات قلبه .

وأخذت الفتاة في الاقتراب منه وقد تأبطت ذراع صديقة لها .. وحاول هو أن يقول شيئاً .. ولكنه لم يتذكر أى شيء .. لقد كان عاجزاً عن التفكير .. عاجزاً عن الكلام .. حتى لكأنه أمام لجنة امتحان الشفوى .

وأبصرته الفتاة فبدأ عليها أنها قد تذكرته ، فقد نظرت إليه في شيء من الدهشة ، ثم وجهت الحديث إلى صاحبها ضاحكة .. واستطاع أن يسمع من حديثها كلمتين هما :
« حرامى الورد » . ١١ .

إذاً لقد اكتشفت الفتاة حقيقة ١١ .

ولم يشعر بخجل من تلك الكلمة .. بل على النقيض لقد أحس بفرحة شديدة .. فقد تبين أنها على الأقل مازالت تذكره وكان لسان حاله يكاد يقول :

لئن ساءنى أن نلتنى بمذمة

فقد سرنى أنى خطرت ببالك

لقد عاد الفتى إلى داره وهو يحس بسعادة لا توصف .

لقد عرفته الفتاة ، وكان ذلك أكثر مما يتوقع ويتمنى .

ولاحظ أهل الفتى ورفاقه ذلك التبدل الذى طرأ عليه
وذلك التحول العجيب الذى بدا فى مسلكه وتصرفاته . .
فقد انقلب لجأة من صبي عابث إلى فتى رزين متشد . . وكان
طربوشه وحذائه أول ما تناوله ذلك التبدل والتغيير . .
أما الطربوش فقد أقلع عن الانزلاق على مؤخرة رأسه . .
وبدأ يستقر فى ميل شديد على أحد حاجبيه . . وأما الحذاء
فقد كف تماماً عن قذف الحصى والحجارة وعاد إليه لونه
ولمعانه وأحس بأن صاحبه قد أضى « بنى آدم » ، وليس
عفرية من الجن أو شيطانا من الشياطين .

لقد ذاق الصبي — أو على الأصح الفتى — أول رشفة
من رشفات الحب . . وهبت عليه أول نسمة من نسماته . .
ولا أظن أن هناك أمراً إلا ويذكر نفسه فى تلك المرحلة
التي أخذ يجتازها الفتى . . وأعنى بها مرحلة الحب الأول ،
بينما لم يزل بعد فى طور النضج . . حين ينظر إليه الناس
فى سخرية واستهزاء إذ لا يرون فيه غير غر حدث . .
وطفل ساذج . . ويبادلهم هو نفس النظرة . . فهو يرى
فيهم حمقى لا يستطيعون أن يفهموه . . لأن مداركهم
أعجز من أن تصل إلى ذلك الشعور الذى يحس به ،
وأبصارهم أقصر من أن تبصر ذلك العالم المضى الذى يحيط

به ، وهكذا يرى الإنسان نفسه بمعزل عن الناس . .
هو لا يفهمهم وهم لا يفهمونه . . هو في واديه يهيم وهم في
واديهم يهيمون .

ومن الغيث أن أحاول وصف أحوال الفتى في حبه
الأول ، أو تحليل مشاعره وإحساساته . . أو أن أسرد
محاولاته مع الفتاة لكي يفوز منها بكلمة أو بنظرة ، لا سيما
أن الفتى — رغم تلك الجسارة والجرأة التي كان يظهر بها بين
رفاقه — كان في حبه من نوع انطوائى ، يحيط نفسه بسياج
منيع من الخجل والحياء .

ولكننى أستطيع أن أعطى صورة واضحة للقارىء إذا
ما قلت أن الفتى قد مرت به سنتان منذ أن بدأ حبه للفتاة ،
وهو يحوم حول الدار ، عله يلحقها في نافذة أو في شرفة
أو يجدها خارجة فيتبعها من بعد كالكلب الأمين ، ثم يعود
إلى داره ، فينهمك في قراءة قصص الغرام كمجدولين وأمثالها .
ثم يأخذ في كتابة رسائل الحب التي يسكب فيها عصارة ذهنه
وقلبه ، وهو حائر الفكر لا يستطيع أن يعرف موقفه عند
صاحبتة ، ولا يدري إن كانت تحبه أو لا تحبه . . لأن
أحوالها معه غير مفهومة ، وتصرفاتها معه متناقضة متباينة ،
فهى قلب حول . . تبتسم مرة وتكفهر أحياناً . . وهو

لا يستطيع أن يسألها هل تحبه ، أو هل هي تفهم معنى الحب ،
لأنه لا يدرى كيف السبيل إليها ، فلا يجد خيراً من الورق
ملجأً ينفس عنه كربتته . . ويقذف فيه بما يجيش به فؤاده .
وإليك بعض ما كان يكتبه الفتى وهو فى غمرة حبه . .
فى كلماته خير تصوير لنفسه :

« ليتنى أستطيع أن أنفذ إلى رأسك أو إلى قلبك . .
ليتنى أستطيع أن أبدد ظلمات الشك والحيرة التى تسكتننى
من كل جانب . . ليتنى أعرف فقط أنك تحبيننى . . أنا
لا أريد أكثر من ذلك . . أريد أن أشعر بلذة اليقين
والاستقرار . . آه لو أعرف أنك تحبيننى ! ! .

ولكن هل تعرفين أنت ما هو الحب ؟ من يدرى ربما
كنت لا تعرفينه . . وربما كنت تحبيننى دون أن تعرفى أن
هذا هو الحب . . دعينى أشرح لك الحب كما أحس به . .
لا كما قرأته أو سمعت عنه . . وسأشرحه لك فى أبسط
الألفاظ وبأقصر الطرق .

معنى أنى أحبك . . هو أن رأسى مليء بك . . حتى
لكأن ذلك الشئ الكامن فيه ليس عقلاً كبقية العقول . .
بل هو عقل مزوج بك . . لا يستطيع أن يفكر فى غيرك . .
أما عيناي فمكأنى بصورتك قد التصقت بهما . . حتى بت

لا أبصر الحياة إلا من خلالك . . أما القلب . . فأغلب
الظن . أنك قد امتزجت بالدماء التي تجري في أورده
وشرائده . . فلو توقفت عن السريان فيه لكف عن نبضه
وتعطل عن حركته .

لا تقولى إن قولى مبالغه عشاق . . أو مجرد إنشاء . .
أو محاولة فى الكتابة والأدب . . لأن ذلك القول هو
حديثى إلى نفسى ، وليس أصدق من حديث النفس إلى
النفس .

إنى لأبصرك فأتمنى ألا يتحرك الوقت ، وأتمنى
لو أصاب الحياة جمود وركود ، حتى تظلين أمام عيني إلى
ملا نهاية ، وقد يزداد بى الطمع فى بعض الأحيان فأتمنى
لو استطعت أن أحتوى يدك بين يدي ، وأن أحس
برأسك يستند إلى صدرى ، ثم نغمض أعيننا عن كل
ما فى الحياة ، ونظل كذلك حتى ينتهى العمر ، أو حتى
تحين الساعة .

هذا بعض ما كان يكتبه الفتى ، مما لوجع لكان مجلدات
ضخمة فى الهوى والهيام .

وأخيراً وبعد مضى عامين طويلين ، وبعد طول كتابة

وصباية .. حدثت المعجزة التي كان يتلهف عليها الفتى ..
وتم اللقاء .

لقد عوّض الله انتظاره ، وجزى صبره خيراً ، كل
الحير ، ففي ذات مساء رآها في الحديقة ، وكان المكان خالياً
إلا منه ومنها ، وابتسمت له وأشارت إليه بالدخول ،
فتسلل كما تسلل منذ عامين ، لا ليسرق الورود هذه المرة ،
ولئلا يسرق الحب .

وغادرها بعد أن أفرغ كل ما في قلبه .. وبعد أن سرق
كل ما كان يطمع فيه .. بل أكثر كثيراً .. لقد سرق منها
اعترافاً بحبه .. وسرق قبلة من يدها .

ومر على الفتى يومان بعد ذلك .. شرد فيهما عن نفسه
من فرط تلك السعادة التي كان يحس بها حتى حدث اللقاء
الثاني .. والأخير ١١ .

الأخير لأن الفتى قد حطم فيه صنمه .. حطمه وبكى ..
لا بدمع عينيّه .. بل بدماء قلبه .. وعصارة روحه النضرة
اليانعة .

لقد لقيها .. فحطم لقاءها قلبه .. وندم على هذا اللقاء
كما يندم على شيء في حياته .. وهو الذي كان لا يتمنى
شيئاً قدر لقاءها .

لقيها وهو يركب في عربة صاحب له ثرى مدلل . .
سأله أن يذهب معه للقاء فتاتين تعود أن يقضى معهما ساعات
ممتعة . . وتمنع الفتى فقد كان يحس أن لصاحبه حقاً عليه
وأن في ذهابه خيانة لعهداها . . ولكن صاحبه أقنعه أن هذا
مجرد عبث لا دخل له في الحب أو الخيانة .

وسارت بهما العربة وهو شارد الذهن . . موجس
خيفة من أن تراه فتاته في موقفه الشائن . . حتى أحس
بالعربة تقف ، وبالفاتين تصعدان . . فإذا إحداهما . . هي
صاحبه . . بدمها . . ولحمها !!

وسارت العربة وجلست فتاته إلى جواره . . ملاصقة
له . ومع ذلك فقد كان يحس أن بينه وبينها ما بين الأرض
والسما . . أو ما بين إبليس والرحمة . . أو كأنه يجلس إلى
ميت بينه وبينه ما بين الآخرة والأولى .

ولم ينبس الفتى ببنت شفة . . فقد كان يحس بنفسه كأنه
شبح بين أطلال . . أو حطام بين أنقاض . . ولم تسكده
تقف في أول مرور حتى فتح الباب ببطء وتسلل من العربة
واختفى بين السابلة .

وعاد إلى داره . . وبأنفسه ذلك الشعور المرير الذى

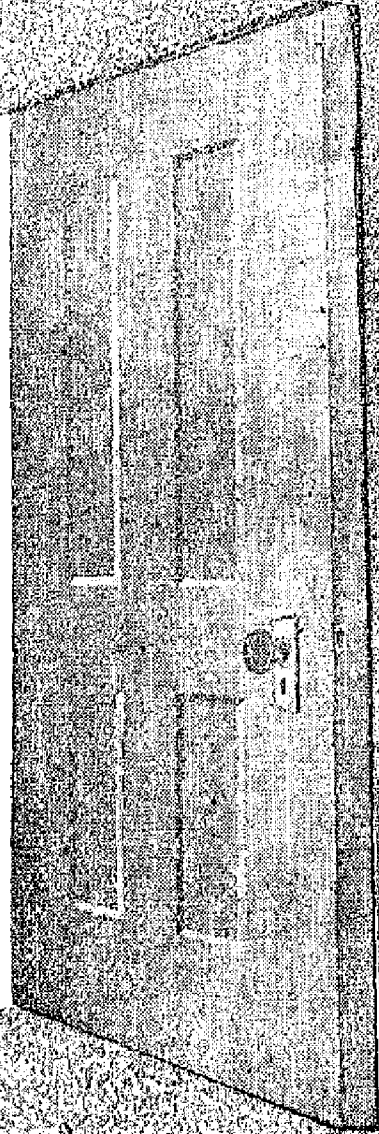
نحس به عند ما نعود إلى دورنا وقد وارىنا التراب عزيزاً
لدينا .

كم كان جزعه شديداً . . ولوعته بمضنة ا
آه لو علم وقتذاك مدى حقارتهم وتفاهتهم . . وآه
لو يعلم أن هذا الجنس ليس أكثر من وسيلة للتسلية والترفيه ا
آه لو علم هذا . . لو فر على نفسه الألم واللوعة .
ولكنه كان معذوراً . . فقد كان الحب الأول .
وكانت الصدمة الأولى .



رجل طيب

لقد وجدت الرجل الطيب الكريم
اليأس .. النهار ، الذي أنزلت به
الصدمة الكبرى . . . ولكنه كان
في حالة لا تنزع عن طبيعته ولا كرمه .
لا . ولا كان هناك أثر للصدمة التي
أنزلتها به .



تشعر بأنها تمر بتجربة عسيرة ، وأن المشاعر
كانت تصطرع في جوفها وتصطخب ، إنها باتت أشبه
بريشة في مهب ريح هوجاء عاصفة عاتية .

ترى كيف هبت عليها الرياح فزلزلت حياتها الهادئة
وعصفت بنفسها الراضية القانعة المستقرة ؟ بدأت الريح
طيبة حنوناً كالنسيم الرقيقة الناعمة لا تنبئ بخطر ولا تنذر
بشر . . فآمنت لها واطمأنت إليها ، وتركت نفسها تستمتع
بها في دعة واستسلام ، حتى بدأت الريح تشتد وتعصف
وتجرفها في سبيلها فإذا بها شاردة تائهة ضالة هائمة .

كانت أول تجربة تمر بها ، تجربة شاقة مرهقة ، وهي
التي تعوّدت الهدوء والاستقرار منذ نعومة أظفارها ،
ولم تكن تعرف عن الحياة إلا أنها موكب يسير وصورة
تكرر . . .

إنها تذكر حياتها مع أبويها عندما كانوا يقطنون في
دارهم بمصر الجديدة ، وعندما كانوا يتمتعون بحياة هادئة
هائلة لا يشوب صفوها كدر ، وكان أفق حياتها لا يكاد
يتعدى البيت والمدرسة ، ومن آن لآخر سهرة في إحدى دور
السينما أو زيارة لأحد الأقارب أو الأصدقاء برفقة أبويها .

كانت سعيدة بغرفتها الصغيرة التي لا يشاركها فيها أحد ،
وكانت دائماً الترتيب لدولابها الصغير الذي حوى بين
جدرانها جميع ممتلكاتها من دمي قديمة وملابس وكتب . سعيدة
بكل شيء .

وكانت سعيدة بأبويها الرقيقين الطيبين الحنونين اللذين
لا يرفضان لها طلباً ولا يخيان لها رجاء . سعيدة بالدار
النظيفة الأنيقة والحديقة المورقة المزدهرة . . سعيدة
بمدرستها التي لا تكاد تبعد عن الدار أكثر من مسيرة بضع
دقائق . سعيدة برفيقاتها ومدرساتها في المدرسة .

كانت بطبيعة خلقها ونشأتها هادئة الطبع شديدة
القناعة ، فلم تحاول قط أن تتطلع إلى أكثر مما وهبه الله
لها ، وأراحها هذا الهدوء وتلك القناعة وشغلها توافه
الحياة ومتعتها البسيطة السهلة عن التطلع إلى مطالب المشاعر
المرهفة ورغبات النفس الحساسة .

علمتها أمها أن على المرأة ألا تحب إلا بعد أن تتزوج ،
فكفّت نفسها مثونة النشوق والتشوف ، وكفّت نفسها
شر الرجاءات القلبية والزلازل العاطفية ، وباتت تنتظر
في هدوء وفي غير تعجل ولا قلق ، وتنعم بحياتها المدرسية

والمنزلة حتى يحين اليوم الموعود ، ويتقدم إليها الزوج
الذى يجب أن تحبه .

ولم يتأخر اليوم كثيراً ، ولم يطل بها الانتظار حتى
تقدم الزوج .

إنها تذكره جيداً . . فى يوم من أيام الخريف اللطيفة
الجو ، ولم يكن قد مضى سوى بضعة أيام على بداية العام
الدراسى ، وقد عادت من المدرسة وقذفت بحقيبتها على أحد
المقاعد ثم استلقت بملابسها على الفراش فى تكاسل
واسترخاء ، عندما أقبلت أمها تستنفضها وتسألها أن ترتدى
ثيابها بسرعة استعداداً لاستقبال بعض الضيوف .

وبدلت ملابسها وأخذت تعد حجرة الصالون لاستقبال
الضيوف فوضعت الزهور فى الزهريات وأعدت المرطبات ،
ولم تسكد تنتهى من إعدادها حتى أقبل الزائرون وكانوا
عائلة صديقة ، بصحبتهم رجل غريب .

وكان الرجل الغريب هو طالب الزواج ، أو الزوج
المنتظر .

أجل . . لقد أدركت حقيقته بوحى إحساسها
إن أمها لم تفصح عن شيء ولكن إلحاحها فى أن تعفى

بهندامها وفي أن ترتدى حليها كان إلحاحاً يبعث على الشك .
والرجل الغريب نفسه ، ونظراته المسترقة من آن لآخر
جعلها تجزم في نفسها أن في الأمر شيئاً .

ومضت بضعة أيام .. ثم وضحت الحقيقة ، وسألها أمها
عن رأيها فيه ، لأنه قد تقدم لخطبتها .
وعرضت أمامها مؤهلاته ، فكانت جملة .

كان مدرساً في الجامعة يحمل شهادة الدكتوراه ، وكان
شاباً لا يتجاوز الخامسة والثلاثين ذو مستقبل باهر ، كريم
المنبت ، طيب العائلة ، له من الأملاك - غير مرتبه - ما يجعله
في بسطة من العيش .

وهكذا لم تكن به أية علة ولا همة من حيث الموضوع
بل كان يعتبر زوجاً نموذجياً .
أما من حيث الشكل ، فقد كان عادياً .

لم يكن قبيحاً ولا مشوهاً ، ولم تكن العين تستطيع أن
تلمح به شيئاً مثيراً ، جميلاً كان أم قبيحاً . بل كان ممثلاً للشكل
العادي الذي يمكن أن تبصره في آلاف الموظفين
والمدرسين والكتبة والتجار ، والمصريين عامة !

كان أميل إلى القصر والامتلاء ، ولكنه لم يكن قصراً

معيباً ولا امتلاء مشوهاً ، وكان يضع على عينيه منظاراً ،
ولم يكن هذا بالشئ الغريب ، فثلاثة أرباع من في مثل سنه
ومركزه يضعون على أعينهم منظاراً .

كان الرجل مقبوراً شكلاً وموضوعاً .

ولم يكن هناك مبرر لأن تقول — حتى فيما بينها وبين
نفسها — لا .

حقيقة أنه لم يكن هناك أية صلة ولا شبه بينه وبين ذلك
المخلوق الكائن في أفق أحلامها ، ذلك المخلوق الذى تجسده
لها قصص الهوى وأحلام الدجى .

وحقيقة أنه لم يكن جميلاً ، فارع الطول ، مشوق القوام
كأبطال الشاشة البيضاء .

ولكنها لم تكن من الغباء بحيث تتصور أن هذا الشئ
كائن فى الحقائق ، وأن عليها أن تنتظر حتى يقبل ذلك
المخلوق من أفق الأحلام !

كانت قناعتها ، وهدوء طبعها ، وحسن تربيتها ، تجعلها
تؤمن بالواقع ، وتدرك بسهولة أن هذا الرجل المتقدم
إليها يمكن أن يكون زوجاً صالحاً محترماً ، وأنها يجب أن تقبله
حامدة قريرة ، وأن تشكر الله على نعمائه وفضله .

وقالت نعم . . لأنها لم تستطع أن تقول : لا ، فما كانت تجد لها مبرراً ، وما كانت من الجنون بحيث تقول إنها كانت تفضل أن يكون أطول قامته ، وأوسم وجهاً ، وأرشق قدماً .

وخيراً فعلت . . فلقد أثبتت لها الأيام التي مرت بعد ذلك أن القدر قد أكرمها ، وأنها لم تخطيء قط بقبول الرجل زوجاً .

كان رجلاً رقيقاً مهذباً ، رضى الخلق ، هادئ الطبع ، ولم يكن هذا الخلق الرضى بالشئ المفعل المتصنع الذى يتكلفه الرجال فى أيام الخطبة ، والذى سرعان ما يتبدد عندما يصبحون أزواجاً . فينقلب هدومهم غضباً ، ورقتهم فظاظة ولينهم غلظة .

وبدأ حياتهما الزوجية ، وانتقلت إلى بيتها بالدقى مكرمة معززة ، وأقبل عليها زوجها إقبال محب عطوف ، وأحاطها بعنايته المفرطة . . مدركاً أنها شئ ثمين يستحق الرعاية والعناية .

ولقد كانت كذلك فعلاً ، إذ هيأت له زوجة مثالية . . ولم يكن جمالها وثافتها لينعماها من أن تكون سيدة بيت

ومن أن تقوم بالطهي والنظافة وأن ترعى شئون زوجها
تماماً كما كانت تفعل أمها بيتها وبابها .

وهكذا سارت بها الحياة الهوينى ، جاعلة من كليهما ..
هى وزوجها .. نموذجاً لزوجين سعيدين راضين قانعين .
حتى بدأت الريح تهب .

وكان مصدرها ذلك النادى الرياضى الذى اشتركا فيه .
كانا سعيدين بالاشتراك به فى أول الأمر ، فقد كان
خير مكان يمكن أن يقضيا فيه وقتهما برفقة ثلة من زملائه
وزوجاتهم .

ولم يكن النادى يبعد عن البيت كثيراً ، وكانت حديقته
المتسعة المترامية الأطراف وشرفته المشمسة تعوضهما خيراً
عن شقتيهما البحرية التى لا تدخلها الشمس .

ولقد بدأ ذهباهما إلى النادى فى أول اشتراكهما معاً ،
فقد كان يصطحبها برفقته بعد الظهر فتنجاس هى للنسلى
بالحديث مع بعض الصديقات أو بعمل التريكو إن لم تلق
إحداهن ، يأخذ هو فى لعب التنس ، وبعد الانتهاء من
اللعب يجلسان معاً لتناول الشاي وقضاء السهرة فى السمر مع
الأصدقاء أو يذهبان إلى إحدى دور السينما .

هكذا كان برنامجهما اليومي .. حتى أنشأ لنفسه مكتباً
للعمل الحر ، فشغل وقته معظم أيام الأسبوع بعد الظهر .
وكان يكره أن يتركها وحيدة طول اليوم ، فوجد
أن خير طريقة لتسليتها هي اصطحابها إلى النادي وتركها
فيه حتى يعود إليها بعد الانتهاء من العمل .

وبدأت أيام الشتاء الأولى تمر دافئة ممتعة ، وبدأت هي
معرفتها به .

كان زميلاً لزوجها ، سبق أن جلس في شلتهاما بضع
مرات من قبل .. ولكن معرفتها به كانت معرفة سطحية
غير وثيقة .

ولقيها وحدها في أول يوم فحياها في أدب واستأذنها
في الجلوس فأذنت له .. ثم سأها لم لا تتسلى بلعب التنس ،
فأبأته أنها لم تلعبه من قبل .. فقال لها إنها يجب أن تحاول
لعبه وعرض عليها أن يقوم بتدريبها .

وكانت تعلم أنه أحد أبطال التنس المعروفين .. ولكنها
اعتذرت فقد خشيت أن يضايق هذا زوجها .

وعندما عاد زوجها عند انتهائه من العمل .. جلس
الثلاثة يتناولون الشاي .. وقال صاحبنا مازحاً :



— يا محمود بك .. لقد عرضت على ليلى هانم أن أعلمها
التنس مجاناً .. فرفضت .

وأجاب محمود بك :

— إنها مخلوقة مكسالة .. من الذى يرفض أن يعلمه «على
عزت» بطل التنس ؟ لا .. لا .. يجب أن تتعلمى «ياللى» بدل
الجلوس هكذا تشتغلين بالتريكو كالعجائز .. إني أريدك
أن تكونى شريكة لى عندما تبدأ المباريات الزوجية .
وفى اليوم التالى بدأت التدريب .

وبدأت تستمتع بالريح الطيبة الحنون تهب كالأنفاس
الداعمة الرقيقة .. لا تنجىء بخطر ولا تنذر بشر .

كانت تستمتع باللعب وبالصحبة ، وبالشمس الدافئة ،
وباليوم الجميل ، ولم تحاول أن تمنع نفسها من الاستمتاع ..
فما كانت تدرك أن وراء الريح الهادئة زوبعة عاصفة عاتية ،
وأن وراء الاستمتاع اندفاع واقتلاع .

إن شر ما فى هذه التجارب أنها تبدأ هادئة رقيقة ، وأنها
تنسلل إلى النفس تسلسل النوم إلى الجفون ، لذيدة ممتعة ..
غلابة مسيطرة .. لا يملك لها الإنسان دفعاً ، ولا
لسلطانها رداً .

كانت تستمتع باللعب وبالصحبة ، سليمة النية ، طيبة
القصد ، ولم يخطر ببالها أنها كانت تندفع إلى مغامرة ،
وتساق إلى شر تجربة يمكن أن تساق إليها امرأة متزوجة .
ولقد قلت إنها متينة الخلق ، حسنة التربية ، شديدة
القناعة ، وأنها . . . وأنها . . . من كل محمود الصفات التي يمكن
أن تخطر على بال .

ولكن هل تستطيع كل هذه الصفات الطيبة أن تصمد
أمام التجربة إذا ما استطار شرها ، واستشرى خطرها ،
واستفحل داؤها ؟

لا تقولوا . . نعم .

لا تكونوا حمقى . . فتلقوا القول على عواهنه .

متزوجة أو غير متزوجة ، طيبة أم فاسدة ، سعيدة في
بيتها أم غير سعيدة ، إن هذه التجارب إذا ما وقعت أودت
بالطيب والخيث والشرقي والسعيد ، وجرفت في طريقها كل
شيء ، غير عابثة بتقاليد أو أصول أو أوضاع .

إن التجربة تبدأ سهلة هينة لا تنبيه بشر حتى يحاول
الإنسان تجنب شرها ، ولا تنذر بخطر حتى يحاول أن ينجو
من خطرها ، فإذا ما حل الشر ووقع الخطر . . جرف

أمامه كل مقاومة وسحق كل محاولة للنجاة .

لقد أمتعها اللعبة والصحبة .. لعبة التنس ، وصحبة المدرب وزاد الاستمتاع حتى خرجت المسألة عن مجرد الاستمتاع . وأصبح الأمر شيئاً حيوياً ضرورياً ، وانقلبت لعبة التنس إلى اللعبة الشائكة الهوجاء المسماة بالحب ، ولم يعد المدرب شريك اللعبة فحسب ، بل شريك الروح وأنس الحياة .

وبدأت تحس بقسوة التجربة وبخطورة الأمر وحيويته . وبأن الريح الهادئة قد اشتدت وباتت رياح هوج لا تبقى ولا تذر ! .

وبدأ النضال الخفي بين الضمير والرغبة .. بين القلب والعقل .. وزاد النضال قسوة وعنفاً طبيعتها الرزينة وعقلها الهادئ المتزن .. فقد كان يمكن للتجربة أن تمر بسهولة لو أنها جبلت على غير ذلك الخلق الطيب والتربية القويمة .. ولو أنها كانت مستهترة مخادعة نزقة طائشة .

وحاولت المقاومة في الظاهر وفي الباطن ، أما محاولات الظاهر فلم تجدها نفعاً .. فقد حاولت سدى أن تقلع عن الذهاب إلى النادي ، وحاولت التعلل أمام زوجها بشتى الأعذار ولكنه كان يصر على أن تذهب .

أما محاولات الباطن .. فقد ذهبت كلها أدراج الرياح .

كان القلب جائحاً بعد أن طال به السكون والركود . .
وكان عسيراً عليه مقاومة أول هزة تفيقه من غفوته ،
وتوقظه من سباته . . وكان عسيراً عليه أن يرى صنو النفس
الذى طالت وقفته في أفق الأحلام فيعرض عنه وقد أقبل
عليه وأضحى حقيقة واقعة .

أجل . . لقد كانت الكارثة في أن فتى الأحلام قد أقبل
متأخراً بعد أن ارتبطت بسواه وشدت إلى غيره .
وأخيراً صممت على أن تضع حداً لذلك النضال ، وأن
تتخذ إجراءً حاسماً .

إنها تحترم زوجها وتجله ، وتربأ بنفسها أن تلوث عرضه
وهي تكره الخيانة والخديعة ، ولذلك فيجب أن تختار بين
أحدهما . . إما مالك الجسد . . وإما مالك القلب . . إما
الزوج . . وإما الحبيب .

وغادرت الدار ذات صباح بعد أن أنبأت زوجها أنها
ستقضى اليوم بطوله عند أمها لأن بها وعكة . . وذهبت إلى
صاحبها لتنبئه علام استقرار أيها وأيهما ستختار . . هو أو
زوجها .

والتقت به في داره حيث كان ينتظرها في لفحة . . فأنبأته
أنها قد اختارته هو ، وأنها ستنبئ زوجها بصراحة بجملة

الأمر وتسأله الطلاق .. وغادرت عائدة إلى دارها .. وطال
بها الانتظار دون أن يعود زوجها ، فدفعها القلق إلى الذهاب
إلى مكتبه ، وكانت تعلم أية صدمة قاسية توشك أن توقعها
به ، ولكنها كانت تعلم أن عملها هذا خير بكثير من الخديعة
والخيانة .

ووصلت إلى المكتب ودقت الجرس وبعد لحظة كان
زوجها يقف أمامها في دهش وذهول .

كانت أول مرة تزوره في مكتبه ، وخشى أن يكون قد
أصاب أمها مكروه .. فسألها منزعجاً :

— أأصاب والدتك شيء ؟ .

— لا .

— إذن ما بالك مضطربة هكذا ؟ .

— أريد أن أفضي إليك بشيء .

— الآن ! .

— أجل الآن .

— ألا يمكن تأجيله حتى نعود إلى البيت .

— من الأفضل أن تنهي الآن .

— أهو من الأهمية بمكان ؟

— نعم .

وقادها إلى حجرة المكتب وأغلق الباب وما زالت
علامم الدهشة مرتسمة على وجهه ، ولم تسكد تستقر على
مقعدھا حتى صاح متسائلا :

— حدثني عما بك .

وبصوت خافت حدثته ، عما جاءت لأجله . . وألقت
إليه بخبيئة نفسها .

وجلس ينصت إليها في ذهول ، وقد اتكأ على
المكتب مطرقاً برأسه في يأس شديد .

وأخيراً كفت عن الكلام وساد الحجره صمت عميق .
وبعد برهة قال بصوت خافت متهدج :

— أنت مجنونة . . طائشة .

— لست مجنونة ولا طائشة ، ولكنى لا أريد أن
أخونك أو أخذك لأنى أجلك وأحترمك .
— ألا تمنحين نفسك فرصة للتفكير ؟

— لقد فكرت كثيراً . . إنى لم أفعل ما يجعلنى أخجل
حتى الآن . . ولا أريد أن أفعله أبداً .

وهز الرجل رأسه ببطء ، وقال وهو يحاول التمالك
والتماسك .

— لك ما تشائين .

ونهمضت من مقعدها وغادرت الحجرة .

وفى الطريق بدأ الضمير يثقل ضرباته ، وبدأت تحس ثقل الصدمة التى أنزلتها بالرجل الذى بذل كل ما يملك لإسعادها . . . والذى وهبها البيت الهادىء والحياة المستقرة .
وتصورت حاله الذى تركته عليها وانهاره ويأسه . .
فازداد بها الندم ، وتمنت لو تستطيع أن تخفف عنه بعض عبئه ، وأحست بأنها كان يجب عليها أن تضحى من أجله ،
وأن تقاوم رغباتها ونزعاتها .

وبلا وعى ولا إرادة وجدت نفسها تعود القهقرى . .
لتسأل زوجها المغفرة وترجوه العفو ، وتنبيهه أنها قد صممت على أن تقهر قلبها ، وتعطّل منه أن يساعدها على الخلاص من حبها .

وكانت واثقة أنه سيقدر وسيغفر . . فهو طيب كريم .
ومرة ثانية وقفت بباب المكتب ، ووجدت أنها لم تغلقه
ورائها جيداً فقد انفتح أمام دفعتها . . ودخلت المكتب
ولم تكذب تخطو بضع خطوات حتى وقفت مشدوهة ذاهلة .
لقد وجدت الرجل الطيب الكريم . . البائس المنهار . .
الذى أنزلت به الصدمة الكبرى .

ولكنه كان في حالة لا تنبيء عن طبيته ولا كرمه . .
ولا كان يائساً ولا منهزماً .

لا . . ولا كان هناك أى أثر للصدمة التي أنزلتها به .
كل ما وجدته قد زاد عليه . .

هو امرأة بين أحضانها .

حقاً . . إنها كانت مجنونة .

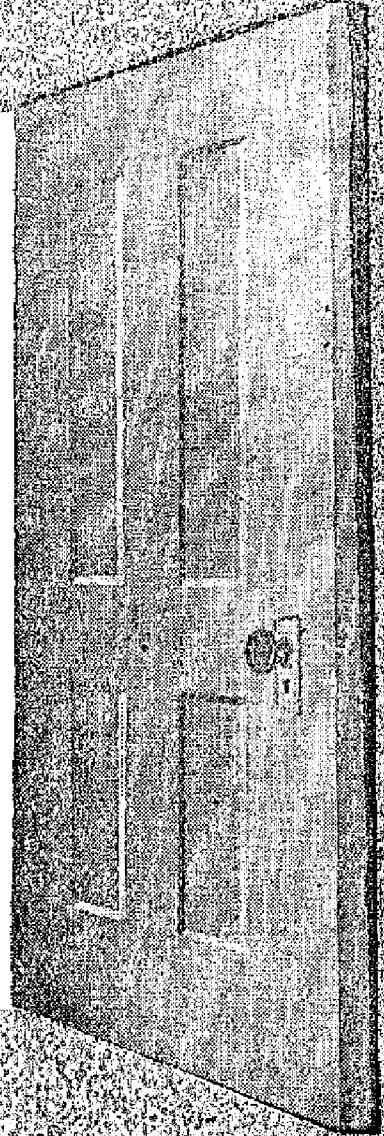
لقد أدلت إليه باعترافها أول مرة والمرأة مختبئة في
إحدى الحجرات . لقد كان مكتبه مأوى لرفيقتة .
لعنة الله عليها .

كان خير لها أن تفعل كما يفعل . . فلا تفضح نفسها . .
بل تبدو أمامه كما يبدو أمامها طيباً كريماً .



مقدمة

الحمد لله على أنه لا يعرف
أوصاف الآثم الأول . . لقد كان
لا بد من ذهابه . . وإلا . من
يدري فقد تنبأه عجوز النجس بها
وتكون الطامة الكبرى .



القطار سيره ، وأخذت ألوح لبضعة الأصدقاء
الذين حضروا التوديع حتى اختفوا عن ناظري
وسط الزحام . وغادرت النافذة عائداً إلى مقعدي .

وكان أول ما فعلت هو أن ألقيت نظرة عجلى على رفاقي
في السفر . وبؤت من النظرة بخيبة رجاء . فما رأيت بين
الوجوه المرافقة التي سأكره على صحبتها ثمانى ساعات متوالية
وجهاً يغرى بالنظر ، ويزيل وحشة السفر ، ويقصر طول
الرحلة . ومع ذلك فلم أشعر بكثير أسف . أولاً لأنى قد
تعودت على هذه الخيبة في كل سفر . وثانياً لأن الديوان
لم يكن مزدحماً بل كل من به لا يزيدون على أربعة : أنا
وثلاثة آخرون . . وهكذا اطمأننت إلى سفرة مريحة
أستطيع خلالها أن أمدّ ساقى على المقعد المواجه وأن
أستغرق في نوم عميق .

وبدأت أتصفح الجرائد والمجلات التي وضعتها بجواري
حتى أحسست بالخنول يدب في جسدى فألقيتها جانباً ثم
أسندت رأسى في تكاسل إلى الوراء وأغمضت عيني في شبه
إغفاءة .

وأخذت أنصت لطرقات القطار المنتظمة التي يحدثها

فى أثناء سيره . وشر د بى الذهن فى توافه الحياه ، فاستعرضت
ما فعلت فى يومى وما سأفعله فى الغد ، ثم اختلطت الأفكار
فى رأسى حتى انعدمت قدرتى على التفكير ورحت فى
سبات عميق .

لم تكن الساعة تزيد على الثامنة . فالقطار قد بدأ تحركه
فى السابعة والنصف . ولا أظن تشاغلى بالنظر إلى رفاقى فى
الديوان أو انهماكى فى قراءة الصحيفة ، قد استغرق أكثر من
نصف الساعة . ومع ذلك فقد هاجمنى الناس سريعاً من
فرط ما أجهدت جسدى خلال اليوم . ولأنى لم أجد حولى
ما يستحق اليقظة .

وإذا نام المرء واستيقظ فجأة فإنه لا يكاد يشعر أنه قد
نام ولا يستطيع أن يقدر طول الوقت الذى استغرقه
فى النوم بل يخيل إليه أنه لم ينام . وهكذا أحسست عندما
استيقظت فجأة على صوت طلق نارى يدوى فى أذنى .
وهبت من مقعدى فرعاً مرتاعاً لأجد الرجل الجالس
بجوارى يفحص مسدساً فى يده ثم يضعه فى جيبه باطمئنان
وارتياح . وأجد أحد الرجلين الجالسين فى مواجهتى
مستغرقاً فى سباته . أما الرجل الآخر فلم يكن بأقل منى
دهشة . إذ رأيتة يحملق فى الرجل صاحب المسدس ، وقد

بدت عليه سياء من أوقف فجأة فزعاً مرتاعاً .
ونظرت إلى الساعة فإذا بها الحادية عشرة . . وأدركت
ببساطة أنى قد قضيت فى سباتى ما لا يقل عن ثلاث ساعات
وكان القطار ممعناً فى سيره دون أن يبدو من النافذة أى أثر
لأضواء أو علامات مميزة تدل على المكان الذى نمر به . بل
بدالى كأن القطار يطوى أكداً من الظلمات .

وخيم على ثلاثتنا صمت لم يكن يشوبه سوى طرقات
عجلات القطار المتتالية المنتظمة كأنها دقات الساعة . . وكان
صمتنا مشوباً بقلق وتساؤل وتوتر فى الأعصاب . وأخذت
أقلب البصر بين الركاب فرأيت الرجل الجالس قبالتى يعود
إلى تراخيه ويمدد ساقيه ويلقى برأسه إلى الوراء ثم يغمض
عينيه دون أن ينبس ببنت شفة وكأنما الأمر لا يعنيه فى
شئ أو كأنه مفروض على ركاب القطار أن يتسلوا بإطلاق
النار من مسدساتهم .

ولم أستطع أنا بالطبع أن أفعل كما فعل الآخرون ،
فأتمطى فى مقعدى بهدوء وأعود إلى سباتى .

من يدرينى أن صاحب المسدس ليس مجنوناً ؟ وإن
الطليقة الآتية ستستقر فى جوفى بدلاً من أن تنطلق طائشة
من النافذة ! ؟

لا .. لا .. يجب أن أكون حريصاً ، وألا أترك الرجل
يعبت بمسدسه ، أو على الأقل أطمئن نفسي بالاستفسار
عن سر هذه الطلقة التي أطلقها .

وكأنما أحس الرجل بقلقي وبأن عيني تحمقان فيه وتطلبان
منه تفسيراً . فقد التفت إلىّ وهز رأسه مشيراً بالتحية ثم
قال وهو يضع يده على جيبه :

— مسدس جيد .

ولم أعرف كيف أجيبه . فأنا لم أفحص المسدس حتى
أعرف إذا كان جيداً أم لا . ولا أعرف كيف ينوى
استعماله . ولا إذا كان من صالحى أن يكون جيداً أم غير
جيد . ولكنى تجنباً لكل ما يشير الرجل لم أستطع إلا أن
أوافق بهزة من رأسى وأنا أقول :

— يبدو كذلك .

— لقد اشتريته منذ مدة قصيرة لغرض خاص . إنى
لم أمسك فى حياتى مسدساً قبل الآن . ولا كنت أعرف
كيفية استعماله ، بل كنت أخشى الاقتراب منه . ولكن
الظروف أجبرتني على ابتياعه حتى أنهى به مهمتى .

— تنهى به مهمتك ؟

— سأقتلها به . لأظن المهمة ستكون شاقة .. حقيقة

إني لا أجد النشان . ولكن المسألة لن تحتاج إلى ذلك .
فلن أحاول إصابة الهدف من بعد . لن يكون بيننا أكثر مما
بينى وبينك . هكذا . .

ورأيت الرجل يخرج مسدسه من جيبه ثم يضع فوهته
بمنتهى البساطة ملاصقة لمعدتى . . ويواصل حديثه :
— أجل . . لن تكون المسافة بيننا أبعد من هذا .
هل تظننى أخطئ ؟

وأحسست برجفة وأنا أبصر فوهة المسدس تلامس
جسدى ، وخشيت إن أتيت بحركة بها شيء من العنف ،
أو صحت بالرجل ناهراً إياه ، أن تخرج الطلقة من المسدس
وأردى صريعاً . ففضلت أن آخذ الرجل باللين وقلت
له مؤكداً :

— لا .. لا .. إنك لن تخطئه أبداً . فقط أرجوك أن
تبعد فوهة المسدس عن معدتى لأنها تسبب لى مغصاً .
وصاح الرجل مقهقهاً :

— لا تخف . إن سقاطة الأمان فى موضعها . أنظر .
مهما ضغطت على الزناد فلن ينطلق .

وضغط الرجل على الزناد وهو ما زال مصوباً
الفوهة إلى معدتى . ولم تكن هناك فائدة من الصياح

أوالهرب . وكل ما كنت أستطيع فعله هو الاستسلام . إن
الرجل لا شك مجنون ولن تجدى معه سوى السياسة .
وحدث الله أن جعل الزناد لا ينطلق فعلا . وحدثه
كذلك أن جعل الرجل يعيد مسدسه أخيراً إلى جيبه .

وتنفس الصعداء ، وقلت للرجل :

— أمصم أنت على قتلها ؟

— أجل . كما قتلا ابنتى .

— قتلا ابنتك أنت ؟

— أجل ابنتى أنا . لقد تأمرا على قتلها . وراحت

المسكينة ضحية نذالتهما وجبنهما .

وبدت على وجه الرجل علامات الحقد والغضب . .

ورأيت مقلتيه تغرورقان بالدموع ، وبدأ لى كأنما هو جاد
فيما يقول .

وسواء كان جاداً أم لم يكن ، فما كنت أملك إلا موافقته

فددت يدي وأخذى أربت على كتفه وقلت له فى عطف ظاهر :

— هدىء نفسك وحاول أن تنام واسترح قليلا .

— أنام ! لقد مضى على عشرة أيام وأنا لا أعرف

طعم النوم . منذ أن واريها الثرى لم يغمض لى جفن ولم
يهدأ لى بال .

— ولكن أوافق أنت من أنهما قد قتلاها . . ؟
— أتظني كنت أصر على قتلها إذا لم أكن واثقاً ؟
— ولكن إذا كان الأمر كذلك فلم لا تبلغ أمرهما
للقضاء وتتركه يقتص لك دون أن تعرض نفسك لعقوبة
القتل ؟

— القضاء ؟ لا .. لا .. أنا لست أبله . إن إبلاغ القضاء
لن يعنى سوى الفضيحة لى ولها . أما هما فلن يستطيع القضاء
أن يثبت عليهما شيئاً ، وإن أثبت فلن يكون لجرمتهما عقاب .
— إذا ثبت أنهما قتلاها فلن يكون لجرمتهما عقاب ؟
— أجل . . أمام القانون . لا عقاب لهما .
— لست أفهمك جيداً .

— لى تفهمنى جيداً يجب أن تفهم الحادثة جيداً .
كنت ذات يوم أجلس فى دارى . وأنا أقطن فيها مع
ابنتى وخادم عجوز تدعى « أم أحمد » ، ترعى أمورنا منذ أن
توفيت زوجتى ، وكنت أعلم أن ابنتى خرجت مع الخادمة
منذ الصباح للقضاء بعض الحاجات . وكنت أتوقع أن
تعود إلى الدار قبيل الغداء ، ولكن موعد الغداء حل دون
أن تعود . وزاد بى القلق عندما انقضى اليوم وهى مازالت
غائبة . حتى دقت الساعة السادسة فإذا بى أسمع وقع أقدام

، أم أحمد ، وحدها وهى تصعد الدرج بطيئة مشاقلة ،
وأقبلت عليها أسألهما فى لهفة عن ابنتى فرأيت وجهها شاحباً
وعيناها محمرتان وأنبأتنى فى صوت متهدج أنها قد أتت
لأخذى إليها .

وكانت المرأة فى حالة إعياء شديد . ولم أستطع أن
أستفسر منها عن حقيقة ما حدث ، ولكنى توقعت أن يكون
قد حدث لابنتى حادث تصادم وأنهم حملوها إلى أحد
المستشفيات .

وانطلقت مع المرأة فى إحدى عربات الأجرة وسألتها
عن اسم المستشفى الذى وضعوها فيه ، فأنبأتنى أنها ستقودنى
إلى هناك .

وهكذا أخذت المرأة تقود السائق وتخرج به يمينه ويسرة
حتى وجدت نفسها فى شارع محمد على قرب القلعة . ثم
عرجت بنا العربة فى أحد المنعطفات وظلت تتجول بين
الأزقة والحارات وأنا حائر دهش ، حتى وقفت بنا أمام
بيت حقير تفوح منه رائحة العفونة وتتراكم على بابه أكوام
القمامات . وقالت المرأة :

— إنها هنا . تعال .

ولم أملك إلا الانصياع . . . فدخلت أتعر ورأها

أخوض وسط القمامات وأتخبط في الدرج الحجري المتآكل .
ودفعت المرأة باباً خشبياً ودلفنا إلى صالة رطبة معتمة
لا يبدو فيها أثر لأثاث . . ثم عبرناها إلى حجرة في الناحية
المقابلة للسلم . وهناك أبصرت ما صرعتى وسأبني رشدي
وأفقدني صوابي .

وجدت ابنتي مسجاة على فراش قدر وقد أغمضت
عينها وشحب وجهها وبجوارها كومة من الملاء مفرقة
بالدماء والفراش نفسه قد تناثرت فيه بقع الدم الأحمر .

كل شيء في الحجرة كان ملوثاً بالدماء .
وأحسست كأنى أوشك أن أهوى إلى الأرض .
وصرخت كالجنون :

— ما هذا ؟ وما الذى أتى بها إلى هنا ؟ .
وانبرت لى عجوز شمطاء من أقصى الحجرة تسعى كالحية
الرقطاء وأنباتنى أنها هى التى أتت بقدميها . وأنها هى التى
سألتها الإجهاض . . وأنها غير مسئولة عن شيء . . فهذا
قضاء الله . ولا راد لقضائه .

إجهاض ؟ كيف ؟ ! .
ونظرت إلى أم أحمد متسائلاً وأنا أكاد أجن . .
فهمست المرأة فى صوت خافت :

— لا داعى لىكل هذا الآن . لیس هذا وقته . الأفضل
أن نحمّلها إلى البيت . ربنا أمر بالستر .

ولم يكن أمامى سوى الرضوخ . فلا أقل من الستر على
البنية الغريرة .

واففناها فى ملاءة نظيفة وحمّلناها إلى التاكسى وأوصلناها
إلى البيت .

وفى البيت فاضت روحها .
وهكذا تمت الوفاة بلا فضيحة وأنعم الله علينا بالستر
فى اللحظة الأخيرة .

ووارينا الجثة التراب . . وتلقيت التعزيات وأنا بادى
الهدوء ظاهر الصبر . ثم عدت أخيراً إلى البيت وقلبى يغلى
بالثورة ويصطخب بالحقد .

كيف حدث ما حدث ؟ من المسئول ؟
وأمسكت «بأم أحمد» أستجوبها وأضيق عليها الخناق .
حتى بدأت تفضى إلىّ بالحقيقة . . وأنبأتنى أنها لاحظت
علامات الهم والقلق بادية على الفتاة ، وأنها أقبلت عليها ذات
يوم فأنبأتها أنها تشعر بغشيان وميل إلى القىء . وفزعنت
المرأة . فقد أدركت أن ما بالفتاة علامات حمل . وكانت
تحبها كابنتها . فحاولت أن تستدرجها لتعلم منها الحقيقة الواقعة .

ولكن الفتاة رفضت وقالت إن أمرها لو افتضح فستلجأ إلى الانتحار .

ولم يكن هناك بد من إنزال الحمل . وأخذت المرأة والفتاة يتسددبران الأمر معاً فأبأتها الفتاة أنها تعرف طبيب ولادة كان دائماً يحاول مغازلتها وهي تمعن في صدره . وهي لا تشك في أنها لو ذهبت إليه فسيذئذها مما بها ويتستر عليها . وفعلاً ذهبت الفتاة والمرأة إلى الطبيب في بيته مبالغة في النستر . والتقت الفتاة بالطبيب ، فأدهشه أن تحضر إليه في داره وهي التي طالما أعرضت عنه وصدته .

وكان من العسير عليها ، وهي المتكبرة المعترزة بنفسها ، أن تعترف بزلتها لهذا الذي طالما احتقرته وترفعت عنه . وأن تسأله المعونة والإنقاذ .

وجالست في كبرياء وأنفة تنبئه أنها تحس بغشيان وميل إلى القىء . ودهش الرجل من قولها واستطاع بنظرة فاحصة أن يفهم فيم بجيئها له وأن يدرك مدى حاجتها إليه . . فصمم على إذلالها وعزم على أن يأخذ الثمن .

وبمنتهى البرود قال لها :

— هذه أعراض حمل ؟

— أجل . .

— إذن فأنت حامل ؟

— أجل .

— وكنت تصديننى وتدعين الشرف والكبرياء والعفة !

— وما زلت . بالنسبة لك .

— إذن لم أتيت إلى ؟

— لتجرى لى العملية .

— عملية الإجهاض ؟

— أجل .

— ولكنها عملية يحرمها القانون . أتعرفين ؟ .

— لا داعى لهذا اللف والدوران .. أتريد أن تجريها

أم لا ؟

— تماماً كالشحاذ الذى يقول « حسنة وأنا سيدك » .

إنى على استعداد لأن أهبك حسنة على أن أكون أنا سيدك

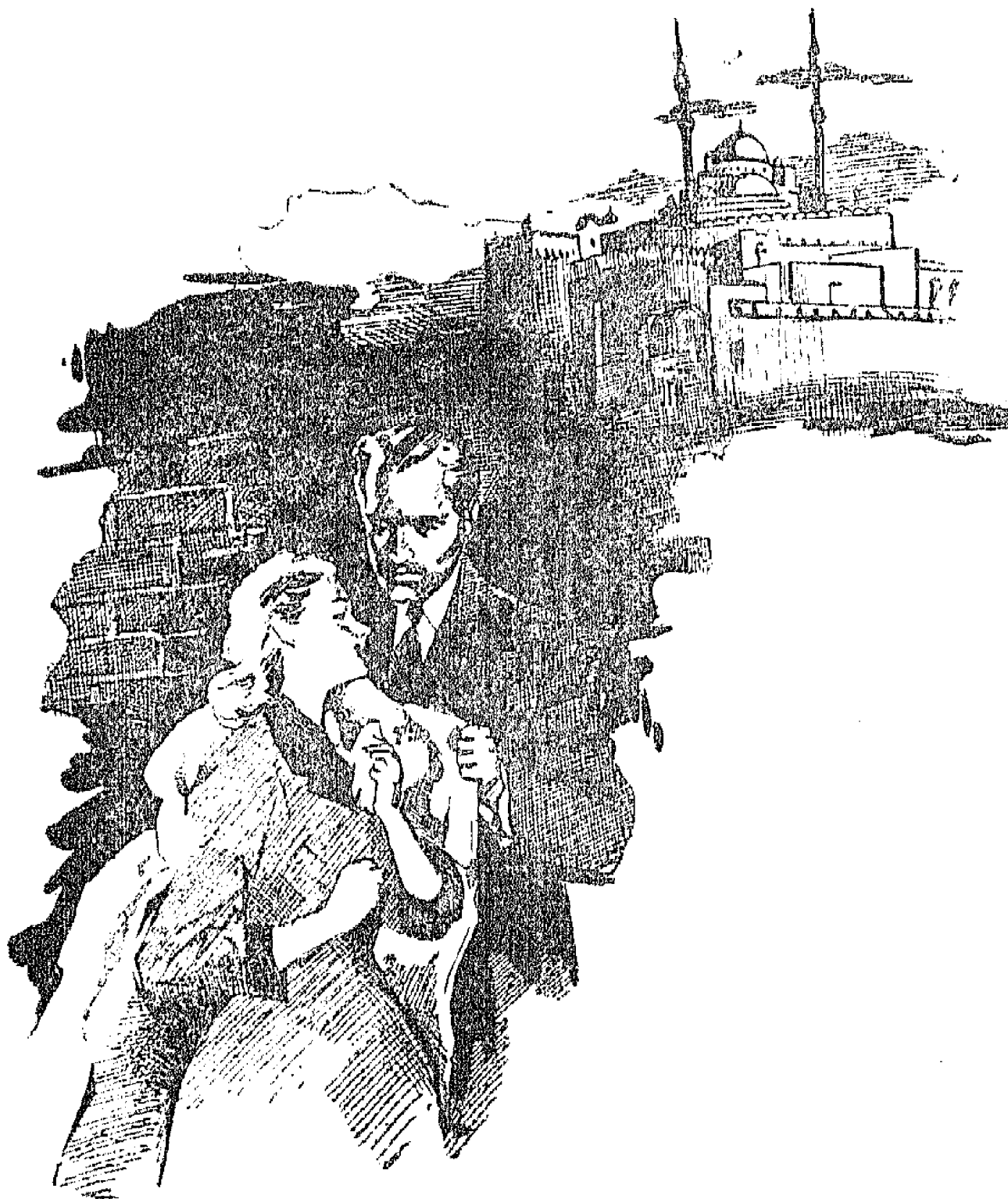
وعلى أن أرغم أنفك الأشم .

— سأدفع لك ثمن العملية .

— أريد الثمن الذى أحده أنا .

— ماذا تعنى ؟

— لا أظنك تبخلين على منقذك من مصابك بما منحتيه



للذى وهبك المصاب . أم ترانى طلبت شيئاً كثيراً !! إن
الجزء من جنس العمل . ولا أظننا سنحتاج إلى إجراء عملية
أخرى .

وكان هذا منتهى الإذلال . ولم تستطع الفتاة أن تحتل
أقوال النذل ، فرفعت كفها وهوت عليه بصفعة شديدة
ثم غادرت الدار .

ولم يكن هناك وسيلة بعد هذا سوى الالتجاء إلى القابلة
التي تعرفها أم أحمد ، وهناك كانت الخاتمة .
وصمت الرجل برهة ، ثم عاد يتحسس المسدس فى جيبه
وأردف قائلاً :

— ولقد صممت على أن أنتقم ولا أستريح حتى أقتلها :
الآثم الأول والآثم الثانى .

أما الأول فانى لم أعرف عنه شيئاً بعد . ولكن أغلب
الظن أن المرأة العجوز تعرفه ولكنها تصر على إنكارها
معرفته ، وإنى أعتقد أنى ببعض الضغط أستطيع أن
أعرفه منها .

— والثانى ؟

— الطبيب النذل المجرم . . الذى لولاه لما ذهبت إلى
القابلة ولما سفك دمها فى الأزقة الممتنة العفنة .. ؟

— هل عرفته . . ١٩٠

— أجل . لقد وصفته لى العجوز جيداً حتى انطبعت صورته فى ذهنى . وحتى بت أستطيع تمييزه بين آلاف الوجوه . سألتقى به عاجلاً أو آجلاً . وسأضع فوهة المسدس على جسده . هكذا . ثم أطلق . لا تخش شيئاً لقد قلت لك إن سقاطة الأمان فى محلها .

وعاد الرجل يضع فوهة المسدس على معدتى . ورغم أنه أخبرنى أن سقاطة الأمان فى محلها فلم أستطع أن أمنع رجفة سرت فى جسدى .

لقد باتت حياتى معلقة بسقاطة الأمان .

إن الرجل مجنون ما فى ذلك شك . وأغلب الظن أن قصته كلها من بنات الأوهام . واستطرد الرجل قائلاً :

— إنى أعرف أوصافه جيداً . إنه متوسط القامة . ورأيت نفسى دون أن أدرى أحسب فى المرأة المواجهة . . خشية أن تنطبق أوصاف الرجل على فتكون الكارثة . . .

وعاد الرجل يتمم أوصافه قائلاً :

— متوسط القامة . . أحمر الشعر . بوجهه كثير من

النفس ، وبصدغه الأيمن أثر جرح طويل .
وحدث الله أنى لم أجده بشعرى حمرة ولا بوجهى نمشاً
ولا بصدغى أثر جرح . ولكنى لدهشتى الشديدة وجدت
الوجه الموصوف لا يبعد كثيراً عن وجهى الذى أبصره
فى المرأة .

أجل . لقد كان هو نفسه أحد الرجلين الجالسين فى
مواجهتنا . ورأيت جفنيه يرتجفان . ولم أشك فى أنه كان يسمع كل
ما دار بيننا من حديث . وفتح عينيه فالتقيا بعيني الرجل صاحب
المسدس وران الصمت لبضع لحظات . وتوقعت أن ينطلق
المسدس . وأخذت أنتظر الدوى . ولكن حدث فى لمح
البصر ، وقبل أن ينطلق المسدس أن أبصرت الرجل ذو
الشعر الأحمر ينهض بسرعة ثم يقفز من نافذة القطار وتطويه
الظلمات المدممة .

ورأيت صاحب المسدس ينظر إلى النافذة ثم يتنفس
الصعداء ويقول :

— هذا واحد . الحمد لله . لقد وفر على مشقة إطلاق
الرصاص . لا بد أن عظامه الآن تنهشم وتنفتت .
ولأول مرة أبصر الرجل الرابع الذى كان يجلس فى
مواجهتى يفتح عينيه ويقول بهدوء وسخرية :

— تتهشم وتتفتت أيها الأحق ! إن القطار يسير ببطء .
إنه لا شك يقف الآن سليماً معافى . اقفز وراه وأرديه
قتيلاً . لا تدع فرصة العمر تفلت منك .

وفي ثانية أخرى أبصرت صاحب المسدس يقفز إلى
النافذة ثم يقذف منها نفسه صائحاً :

— أجل . أجل . معك حق . . لا بد أن أجهز عليه .
وران الصمت ثانية . ثم سمعت الرجل الباقي يتنفس
الصعداء ويقول :

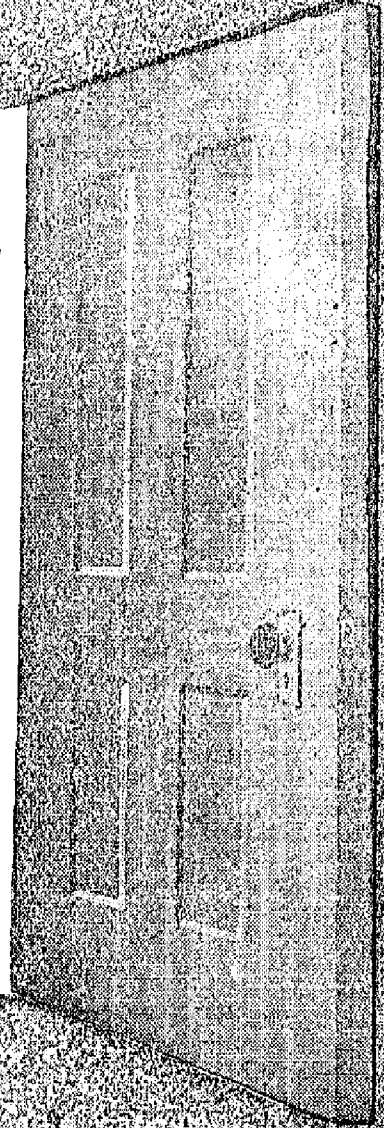
— الحمد لله على أنه لا يعرف أوصاف الآثم الأول .
لقد كان لا بد من ذهابه . وإلا . من يدرى فقد تنبئه عجوز
النحاس بها . . وتكون الطامة الكبرى . . الحمد لله .

ثم أغمض عينيهِ وعاود سباته العميق .
وهزت رأسي في دهش وساءلت نفسي :
— أهكذا دائماً ينجو الآثم الأول ؟ .



رجل منفتح

ومضت لحظة من التردد والخوف
وهو يقبض على عنق الشيخ ويضع
يده على فيه ، خشية أن يكون العابر
الجديد قد أبصره وهو يجذب الشيخ
إلى داخل القصب .



حالك . . والظلمة شاملة . . والسكون سائد . .
الدليل والصمت مخيم .

وما من صوت هناك إلا فحيح الريح تدفع أمامها
أطراف أعواد القصب ، فتميل أمامها في أمواج متتابعة
متتالية .

وبين الأعواد الخضر المتكاثفة . . أخذ شبح يتسلل في
الظلمة كأنه ذئب يسترق الخطى .

ولو استطعنا أن نكشف حجب الظلام لنستبين ملامحه
لراعنا منه كثير من قسوة . . وكثير من عزم . . وكثير
من شرود .

كان الرجل يوشك أن يبلغ هدفه ، هدف العمر الذي
طالما حث الخطى للوصول إليه . . والذي تركزت لبلوغه
جهوده وجهود أهله من قبله ، حتى أوشك هو أن يتم سعيه
ولم يبق لتحقيق غرضه إلا النزر اليسير .

أجل ! بعد طول السعى والكد والحل والترحال . .
قد وصل أخيراً ولم يعد بينه وبين الثأر سوى خطوات
معدودات قصار .

الثأر ! لم يتحرق إليه ؟ . ويتلهف عليه ؟ . إنه يشعر

بنشوة من مجرد الإحساس بأنه يوشك أن يقدم على تنفيذه ،
والشعور بأن الساعة المرتقبة قد أزفت ، والأمل المرجو
يوشك أن يتحقق .

إن السنين المتوالية لم تطفئ في قلبه الحارقة المتأججة ،
ولا استطاع الزمن أن يبريء بالنسيان حزناً دفيناً ، ولوعة
كامنة .

إنه يذكر أباه ومصرعه كما لو كان قد حدث بالأمس
القريب ، يذكر رقده على حافة القناة بين كوم الغاب والدماء
الحارة القانية تنزف من جرح في جانبه وتخضب ثيابه وهو
يئن أنيناً خافتاً ، وأنفاسه تخرج من صدره متعشرة
متقطعة .

وفي صوت متهدج .. سأله أباه ألا يترك الثأر ، وأن
يقتصر من قاتله بيده ، وألا يدع دمه يضيع هدرآ .

وكان يستمع إلى أبيه مشدوهاً مذهولاً لا يكاد يصدق
عينيه ولا أذنيه ، ولم يملك أن يجيبه بغير الانحناء عليه وضمه
إلى صدره محاولاً أن يبعد عنه عادية الموت ، سائلاً إياه
ألا يموت ويتركه وحده .

ولكن بعد لحظات لم يجد بين يديه سوى أذن صماء ..

وفم صامت مطبق . . وأطراف متداعية مترخية . . وجثة
مسجاة لا حراك بها .

كان وقتذاك صبيّاً غريراً ، ولم يكن له بعد أن ماتت أمه
سوى أبيه العطوف الحنون ، ولم يكن يطوف بذهنه قط
أن أباه يمكن أن يذهب عنه هكذا — في مثل لمح البصر —
ويتركه وحده .

وأحس بالمرارة تفيض بنفسه .. لقد كان يعلم بالعداوة
القائمة بينهم وبين أسرة مجاورة . وكان يعلم أن بين الأسرتين
ثأراً قديماً ، ولكنه لم يخطر له على بال قط أن يذهب أبوه
الطيب الكريم ضحيته !

إن أباه لم يرتكب إثماً حتى يقع عليه القصاص . ومن
الظلم أن يحمل إنسان جرم إنسان آخر .

وجلس بجوار الجسد المسجى يبكيه بكاء مرّاً ، ثم أفاق
لنفسه أخيراً فوجد أن البكاء لن يجدى نفعاً . فما هو بمعيد
أبيه ، وما هو بمطفيء حرقة .

شيء واحد .. يستخلص لأبيه حقه . . وهو الذي يمكن
أن يهبه العزاء ، وهو الثأر !

إنه لن يظلم أحداً كما ظلم أبوه ، ولن يأخذ بجرم القاتل
إنساناً بريئاً ، بل سيوقع القصاص على القاتل نفسه !

ونفض من مكانه في عزم وقوة ، ولم تشرق الشمس

عليه إلا وقد وارى أبيه الثرى .. وطوى فى باطن الأرض
كل أثر لمصرعه .

وأصبح أهل القرية ، فإذا بثلاثة منهم قد اختفوا من
القرية وعفت آثارهم ، القتل والقاتل والأخذ بالثأر ..
واحد يشوى ببطن الأرض ، واثنان يضربان متلاحقان
فى ظاهرها .

لقد خرج يقتفى إثر غريمه .

ومنذ ذلك الحين وهو هائم شارد ، لا يهدأ له بال ولا
يقر له قرار .. وخرج بنفسه من زمرة الأحياء .. حتى بات
كالشبح السارى أو الروح الضالة الهائمة .

ومرت السنون ، وهو يضرب هنا وهناك ، فى المشرق
تارة وفى المغرب أخرى .. مقبل مرة مدبر مرة ، وفى
كل خطوة يخطوها وفعل يأتیه .. ليس له من هدف سوى
تعقب آثار غريمه والثأر منه .

ولم يكن له من خطة أو تدبير ، فقد كان كل ما يهدف
إليه هو أن يعثر عليه .. أما طريقة الثأر فقد كانت عنده
سهلة هينة ، لقد كان مصمماً على أن يردیه صريعاً أينما
وحينما يجده ، بلا تفكير ولا تدبير .

إن كل ما يريده هو أن يشفى غليله بقتله . أما ما يحدث

له بعد ذلك ، فكان أتفه من أن يفكر فيه .
إن مصير نفسه لم يكن يعنيه في شيء ، أما مصير غريمه
فكان هو كل شيء .. إن حياته لها قيمة ، لأنها ستضع
حداً لحياة خصمه .. أما بعد ذلك ولغير ذلك ، فإنها هباء
في هباء .

واستمرت المطاردة يوماً بعد يوم ، وشهراً بعد شهر
وعاماً بعد عام والحقه مستعر ، والضغينة متأججة ، لا هدوء
ولا سكون ، ولا نسيان .. كل تعب يهون مادام يقرّبه من
هدفه ، وكل شقاء وشظف في العيش يحتمل ما دام يدينه
من بغيته .

وأخيراً .. وبعد طول صبر وأناة ، ورحيل ومهاجرة
بلغ الهدف ، أو قل أصبح منه قاب قوسين أو أدنى .
لقد وجد الغريم في النهاية بعد مضي هذه السنين الطويلة
شيخاً واهن العظم أشيب الشعر .. ولكنه كان هو .. هو
الأمينة المنشودة ، والهدف المقصود ، الذي أجب الحقده ،
وألّط البغضاء .. المجرم القاتل ، الذي أوردى أباه صريعاً
مضرراً بدمائه ، والذي أفقده يانعه عمره وأرقده بلا ذنب
جثة هامدة بين الثرى .

لقد لقيه أخيراً بعد طول جهد وكثير مشقة وعناء ،

وكان قميناً وهو المتحرق شوقاً إلى الشار بأن يرديه قتيلاً
في ساعته .

ولكنه لم يفعل ا

لم يفعل ، وهو المتعجل المتلهف الذي كان يأكل صدره
الحقد ، والذي لم يكن ينبغي الإقتل غريمه بلا خطة ولا تدبير
ولا تفكير في الهروب .

لم يفعل .. وهو الذي كان لا يعنيه مصيره في شيء ..
بل كان مصير خصمه — أو إنهاء مصيره — هو كل شيء .
لم يفعل لسبب واحد .. وهو أن مصيره هو قد أصبح
يعنيه ا .

لم يفعل ، من أجل الأعين النجل .

الأعين النجل ا وجدائل الليل ا والوجه القمر .

كل ذلك قد جعله يعنى بمصيره ، وجعل حياته قيمة .
لوم يصادفها قبيل النهاية لكان كل شيء قد انتهى ولكن
القاتل قد لقي حتفه ، ولكن هو يقف في شجاعة وهدوء
ليقول للهلا : « أنا الذي قتلته لأنه قتل أبي .. لقد أخذته
بذنبه ، وأخذ هو أبي بلا ذنب .. افعلوا بي ما شئتم ، خذوا
حياتي ، فقد فعلت بها ما أردت .. أما ما تبقى فما عاد يعنيني
في شيء » .

لقد كان حرياً بأن يفعل ذلك ، ويقول ذلك . . أما الآن وقد لقيها . . أما الآن وقد أضحي ما تبقى من حياته يعنيه كما عناه ماسلف منها . . أما الآن ومصيره لم يعد ملكه بل أضحي ملكهما معاً ، فقد كان أجبن — أو أعدل — من أن يفعل ذلك .

لقد كان عليه أن يتروى ويتأني .
إن الثأر لا بد منه ، وقد بات في يده . . ولكنه لم يكن هناك مبرر لأن يلقي بنفسه إلى التهلكة ، إذا كان يستطيع أن يبلغ أمنيته وهو في مأمن ، ويردى خصمه وهو بمنجاة من العقاب .

كان الأمر سهلاً . . فقد كان يستطيع أن يتصيد غريمه في حلقة الليل وهو عائد وحده إلى داره بعد أن عرف مواعده وعرف خط سيره وطريق مروره .

كان عليه أن يختبئ بجوار الساقية القديمة وسط أعواد القصب المتكاثفة . فإذا ما مر به الرجل في الطريق الضيق الذي يمر وسط حقول القصب ، فليس عليه إلا أن يمد يده فيمسك بعنقه ويضغط عليه حتى يكتم أنفاسه ثم يلقي به في الساقية القديمة الخربة .

وينطلق بعد ذلك لينعم معها بحياة هادئة ناعمة .

ودنت الساعة الرهيبة التي طال به انتظارها ، وأقبل الليل يرخى سدوله على الجريمة التي توشك أن تقع ، وسار متسللاً بين أعواد القصب . وقد طافت بذهنه كل الذكريات الزاهية ، وتراوت له عينا أبيه الخائيتان وصوته المتهدج يدعو للثأر ، وتراوت له بجوارهما الأعين النجل ، والصوت الناعم يدعو له لأن يترفق بنفسه . . وأن يذكر أن مصيره ليس ملكه .

واقترب من الساقية . . وخفق قلبه . . وهو الشجاع القوي . . وارتجفت أطرافه وهو الصلب الجريء ، الثابت الجنان . . وهبت الريح فبعث فحيحها في نفسه نوعاً من الهلع لم يدر علته ، ولكنه تمالك وتماسك ، وهدأ من روعه ، وأزال من رهبته .

وجلس بين الأعواد الخضر يرقب وينتظر . وزاده الانتظار قلقاً ورهبة ، ولكنه عاد يطمئن نفسه . بضع دقائق أخرى ويستريح من عبئه . . بضع دقائق ويفي بوعده لأبيه . . ويجعله يستريح في قبره . . بعد طول انتظار .

لقد بات الطير في يده ، ولم تعد هناك قوة على الأرض تستطيع أن تجعله يفات من مصيره المحتوم .



وأخذت الدقائق تمر طويلة ملة حتى خيل إليه أن الرجل
قد عدل عن العودة أو غير طريقه .

ومد رأسه من خلال القصب يستطلع الطريق ، ولكن
الظلمة كانت خالكة ، وكان موقفه بجوار الساقية في منحني
الطريق ، فهو لا يستطيع أن يبصر القدام إلا بعد أن يلف
مع الطريق ، ويصبح على قاب شبرين أو أدنى .

وفجأة سمع وقع أقدام تقترب فأخفى رأسه بين الأعواد
وأخلد إلى الصمت حتى كاد يوقف أنفاسه .

وازدادت الخطوات اقتراباً ، خطوات متناقلة تصحبها
عصا هي بلا شك عصا الشيخ .

أجل ! أجل ! إنه هو بعينه .

وأخيراً وصل الشيخ قبالة ، وتحقق هو من وجهه
ومشيته .

وفي خفة الثعلب مد يده فقبض بها على عنقه ثم جذبه
إلى الداخل واضعاً اليد الأخرى على فمه .

وقبل أن يبدأ في الضغط على عنقه ، وصل إلى أذنه
صوت أقدام أخرى . . أسرع سيراً وأخف وقعا ، كأن
هناك من يريد اللحاق بالشيخ .

ومضت لحظة من التردد والخوف وهو يقبض على عنق

الشيخ ويضع يده على فمه ، خشية أن يكون العابر الجديد قد أبصره وهو يجذب الشيخ إلى داخل القصب . . ولكنه سرعان ما تغلب على تردده وخوفه . . وصمم على أن ينجز مهمته في حزم وسرعة .

وبدأ في الضغط والخطوات تزداد اقتراباً ، حتى بدا وكأنها اجتازت منحني الطريق وأنها قد شارفت مكناها . . وفجأة سمع صوتاً نسائياً ناعماً يشق أجواز الفضاء ، ويصبح منادياً في لهفة :

— آبا . . آبا !

وبدا كأن صاحبة الصوت كانت تسير وراء الشيخ محاولة اللحاق به ، وأنها افتقدته فجأة ، وتبينت اختفائه بعد منحني الطريق ، فصاحت تناديه .

ووقع الصوت في مسمعه وقعاً خفيفاً مروعاً ، لا لمجرد إحساسه بأنه صادر من ابنة تستدعي أباً يوشك هو أن يرديه صريعاً .

ولا لأن الصوت كان مفاجئاً وسط ذلك السكون الخفيف .

بل لسبب أكبر من هذا .

لقد كان الصوت ، صوتاً مميزاً عنده ، صوتاً لا يخطئه
كان صوت الأعين النجل . . ذلك الصوت الناعم الرقيق . .
الذى كان يدعوّه دائماً لأن يترفق بنفسه ويذكر أن مصيره
لم يعد ملكه !

لقد كان الصوت الآن يدعوّه لأن يترفق به وبأن
يهبه مصيره بعد أن أصبح في يده ، ويترك الثأر الذى أمضى
العمر فى الجرى وراءه !

ومضت لحظة وهو قابض على عنق الرجل . . ورويداً
رويداً بدأ ضغط أصابعه بخف ، واستطاع الرجل أن يتنفس
وأن يتكلم ، فصخر مستنجداً بآبنته :
واندفعت الابنة لتنجد أباه .

ووقف الإثنان وجهاً لوجه . . وما زالت أصابعه قابضة
على عنق الشيخ . . وما زال ذهنه حائراً يتخبط بين ثأر أبيه ،
وبين الأعين النجل المتوسلة إليه .

لم يكن فى استطاعته التحدث . . فلقد بهره صوتها . .
وسحرتة عينيها .

وترك الشيخ يفلت من يده .

ونظر إلى الفتاة وقال هامساً :

— كنت أعتقد أنه ما من قوة على الأرض تستطيع أن

تنجى قاتل أبي من قبضة يدي . . أو أن تشينى عن أخذ
الثأر . . ولكنى لم أكن أعرف قوة تلك الأعين النجل . .
عندما تتوسل ، ولم أكن أظن أننى سأصبح يوماً من قوم
الشاعر القائل :

نحن قوم تديننا الأعين النجل
على أننا نذيب الحديد

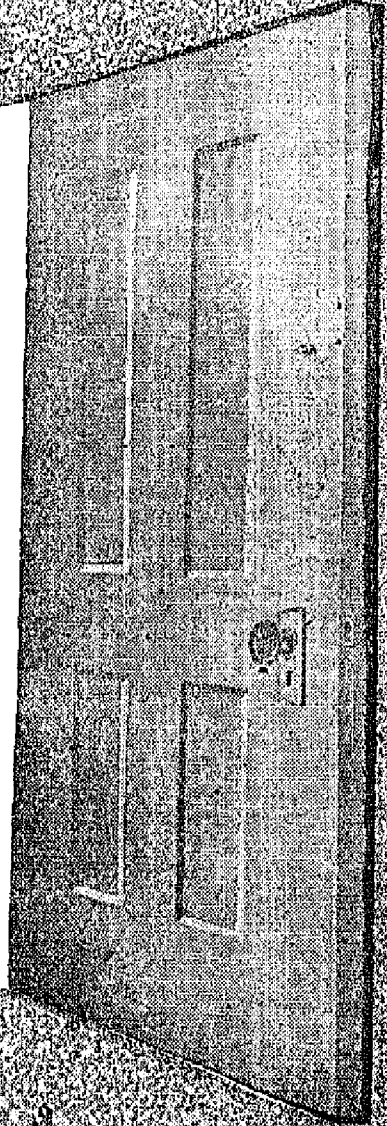
وهكذا جرف تيار الحب صخور البغضاء وعفا
صاحب الثأر عن غريمه وعنقه بين أصابعه .
وتزوج الرجل ابنة غريمه . . ووضع حداً لخصومة
دهر وعداوة عمر .



عبد قائل

لا أظنني بمستطيع أن
أصف لك الصدمة المروعة التي
أصابيني بمد أن قرأت خبر
انتحارها .

واني لا أخشى أن اتهم بشيء
فلا أظن هناك من سيفكر في القاء
التهمة علي .



أنا المجرم الأول ؟

هل

وه أنا ، هذه بالطبع غير عائدة على .. فما أنا

بمجرم أول ولا ثان ولا ثالث . . وما كانت لي بالجريمة
المعروضة أية صلة . سوى صلة العرض والنصح .

أما صاحب الرسالة . . وصاحب السؤال . وصاحب
الجريمة . . فهو الأخ « ع . ح » الطالب بأحد المعاهد
الأمريكية .

ولقد كتب إليّ من أمريكا . ليطلب المشورة . ولحث
على الظرف طابع بريد الولايات المتحدة وختم بريد
بنجامتون . . ولست أدري جنسيته بوجه التحديد . . وإن
كنت أرجح أنه عراقي . . فقد كتب إليّ خطابه بتاريخ
(٥ آب ١٩٥٠) وأنا دائماً يصلني من أهل العراق خطابات
مؤرخة بآب وآذار وغيرها من الشهور المحيرة التي حاولت
حفظها عبثاً .

وقرأت رسالة الأخ وتوقفت أمام الخاتمة التي قال فيها :
« كم أتمنى أن تجيبني على سؤال يكاد يكتم أنفاسي ويرهق
حواسي . هل أنا المجرم الأول المسؤول عن مصرعها ؟ أم أن

دورى لم يكن سوى دور ثانوى . . جعلته المصادفات يبدو
رئيسياً ودفعته الظروف إلى أن يحتل فيها مكان الصدارة ؟
أجبنى صراحة فإني أرزح تحت عبء من الشك ثقیل مخيف
ينوء به كاهلى وينقض به ظهرى .

لن أعطيك عنوانى . فلست أريد رداً خاصاً .. بل دعها
تكون قضية عامة يشترك فيها قراؤك . . ولا أظن هناك
مانعاً لدى من نشر كل ما كتبت لك . ومع أى تحوير أو
تصليح تود إجراؤه بشرط واحد . وهو أن تبقى على أساس
القصة .

ولست أظننى إلا مجيباً الأخ إلى مطلبه فى نشر رسالته
بالتحوير ولا تعديل .. اللهم إلا إضافة بعض التفاصيل ، التى
تشوق القارئ ، ، التى أبى هو ذكرها فى رسالته المقتضبة خوفاً
من الملل .. ولقد اعتمدت فى روايتها على التجارب والخيال ..
فعسى ألا أكون قد جانبت الحقيقة .. فإن كنت .. فليعذرنى ..
وليعتبر هذه الإضافة من باب التحوير والتعديل الذى سمح
هو به . وليتفضل بعد ذلك مشكوراً — إن كان ينوى أن
يقدم على جريمة أخرى — أن يرسل لى كل التفاصيل عن
جريمته الجديدة وليتفضل كذلك كل قارئ غيره يسألنى
عرض قضيته ويطلب الشورى أن يذكر هذه التفاصيل التى

قد يعتبرها تافهة بلا خوف من ملل أو خشية من إسهاب .



سأكتب لك قصة حقيقية جرت حوادثها لغريب في
أمريكا ووضع القدر خاتمها منذ أيام قلائل . أو يبدو أنه
قد وضعها وإن كان الشك يساورني في أنه ما زال لها بقية .
إنها قصة طالب من الشرق وفتاة من الغرب ، ألف بينهما
ما لا يقف في سبيله شرق ولا غرب .. ولا يعترف بتقاليد
ولا أجناس ولا أديان .

ألف بينهما جامع جارف جبار . . جامع من الهوى .
جارف من الغرام . جبار من الحب .

لقيتها ذات مرة .. كيف . ؟ وأين . ؟ ومتى . ؟
وماذا تم هذه الأشياء التافهة القيمة بالنسبة للقاء
فعلا .. ؟

إن الزمن والمكان والظروف لم تعد لها قيمتها في حب
العالم الجديد .. العالم الصاحب السريع .

لم ألقها بالطبع في روضة غناء فيحاء ، ذات ليلة هادئة
النسيم ، خفاقة النجوم ، يسترق القمر فيها الخطى خلف منشور
السحاب فيرسل أشعته فضية متقطعة .

لم ألقها بين عبق الزهور وشدو الطيور وحفيف الورق
وترنيم الورق !

لم ألقها بين شيء من هذا كله . . فلا فجر ولا سحر ولا
طير ولا زهر . . ولا أى أثر لهذه الأشياء التى تخرج بها
جوك الشاعرى فى قصصك الغرامية .

لم ألقها فى جو شاعرى . . بل لقيتها فى جو عادى مليء
بالصخب والضجيج والزحام والمارة والحركة والأصوات
المتنافرة .

ومع ذلك فقد أرهفت مشاعرنا . . تماماً كما لو كان اللقاء
فى الروضة تحت القمر وبين الزهور .

إن كل هذه أشياء مساعدة أما الأصل . . أصل الهوى
والجوى فكامن فى الصدور راقد بين الحنايا . ولو وضع
العشاق فى الجحيم لما كففت قلوبهم عن الحب .

قرب اللقاء العابر بيننا . . بأسرع مما يتصور إنسان . .
فقد صادف كل منا هوى فى نفس صاحبه . وكأننا قطبان
مغناطيسيان متضادان . . لم يكادا يتقاربان حتى اندفع كل
منهما تجاه الآخر .

وافترقنا على موعد . . ثم التقينا فى الموعد . . وقضينا

معاً في نيويورك يومين وليلتين لم يشعر أحدهما بخلافهما أنه
يُصاحب غريباً فرقت بينهما المولدة والنشأة والتربية والجنس
والدين . . ولم يلتق وإياه بالأمس القريب . . بل كان يحس
كل منا لصاحبه أنه رفيق عمر وزميل صبا .

لقد قضينا معاً فترة مليئة بالبشر ، حافلة بالأنس والمتعة .
فترة مختلطة من السعادة ، مسروقة من النعيم . . نلت خلالها
من الفتاة أقصى ما يريد رجل من امرأة ثم عدت بها في النهاية
إلى بلدتها وأنا متخيم ريان .

ولا أكذبك القول إذا ما قلت لك إنها لم تكن المغامرة
الأولى ، بل إن مجرد قولي عنها مغامرة يعتبر مغالاة في
القول . فهذه الزهات مع الفتيات الأمريكيات كانت أشياء
طبيعية متكررة دائمة الحدوث . وكنت أقضي معهن يوماً
أو يومين ثم أعود بهن إلى دورهن أو بلدتهن . فأودعهن
وينتهي بعد ذلك كل ما بيننا ونفترق كأن لم يكن بيننا
لقاء ولا صلة .

لقد كانت صحبتي لهن دائماً تنتهي بفرقة عاجلة . . فإني
بطبعي سريع الملل . . لا أكاد أنال منهن مأربى وأقضي
وطري حتى يضيق صدري بهن ، وتتملكني السآمة من
صحبتهم فأسرع بفراقهن .

أما هذه . . فلهذهشتى الشديدة . . لم تكن كالسابقات .
لقد لقيتها كما لقيتهن . . وفعلت بها ما فعلت بهن . . ومع
ذلك فما ضاق صدرى بها ولا أصابنى منها ملل ولا سآمة . .
ولولا رغبتي في العودة لما رضيت بفرقتها .

على النقيض . . إنى لم أكد أنال منها ما نلت . . حتى
ازدادت رغبتي فيها ، واشتدت لهفتى عليها . . واستعر في
قلبي الشوق وتأجج الحنين ، ولم أفارقها إلا وأنا كاره للفرقة
مشفق على نفسى منها .

وودعتها مرغماً . . ودعتها جسداً . . ولكنى لم أودعها
قلباً ولا ذهنًا . . فقد أبت صورتها أن تفارق ذهنى . . وأبى
رسمها أن يودع قلبي ، وظلت على البعد باقية حاضرة تلح
ذكرها على نفسى . . ويملاً طيفها رأسى ويملك تفكيرى .

ووجدتني أفكر في مسائلها تفكيراً جدياً ، وأسمو بها
في هذا التفكير عن كل من لقيت من غيرها من الصحابات
العابرات ، وأجعل منها نسيجاً وحدها ، ويزداد بى التفكير
يوماً بعد يوم . . ويشتد الحب والشوق . . وتزداد خطوط
رسمها عمقاً في قلبي وفي ذهنى حتى تبیت وكأنها جزءاً منى
لا يتجزأ ، وتصبح لدى شيئاً حيويًا وانتهى بى الأمر إلى
أن تركز تفكيرى في نقطة واحدة . . وهى الزواج .

أجل لقد سموت بها في تفكيري . . حتى وضعتها مني
موضع شريكة العمر . . وتوأم النفس .

وذهبت إلى بيتها بعد أن عقدت النية على التقدم لخطبتها .
وفي بيتها لقيتني مرحبة هاشة هاشة . . وقدمت إلى شاباً
في ثياب جنود فرقة الـ « مرنيه » .

قدمته إلى عليّ أنه فتاها . . أو كما يقولون هنا : عشيقها .
وباستفسار بسيط علمت أنها تعرفه منذ شهور طويلة ،
وأنهما متفقان على الزواج منذ زمن .

وأصابتنى من قولها صدمة شديدة . . وأحسست في
صدرى بخليط صاخب من الغضب والغيرة والفجيرة
والياس .

وقد أكون خاطئاً في غضبي وفي فجيعتي . . وقد تكون
المسألة برمتها شيئاً طبيعياً . . كان يجب أن أنتظره وأتوقعه
لا سيما ونحن في بلد التحرر والانطلاق . . ولا سيما وأنا
نفسى أنال ما أناله من الفتيات بمنتهى السهولة .

ولكن ماذا أقول للقلب الأحق المجنون . . الذي أبى
إلا أن ينطلق وراءها ويتشبث بها . . ويجعل منها شيئاً ملكاً
له خاصاً به ؟ !

ماذا أقول في النفس اللهفي والذهن المخدوع الجاهل . .

الذى أبى إلا أن يصور منها مخلوقة سماوية لم تقع إلا فى حباله
ولم تفرط إلا له ؟

لقد كانت الصدمة شديدة والطعنة قاسية . . لا لأن
الفتاة ظهرت لى بما لا يجب أن تكون عليه . . بل لأنها
ظهرت لى كما لم يصورها به الذهن . . إنها هدمت قصور
أوهامى . . وقوضت عرش أمانى . . وخذلت مشروعاتى
خذلاناً شديداً .

ولم أفتحها بالطبع فى خطبة ولا زواج . . بل مكثت
عندها هنيهة واجماً مطرقاً شاردأ . . ثم ودعتها وانصرفت .
وعدت إلى دارى مثقل النفس بالهموم والأحزان ،
متعب الذهن ، مكروب الصدر ، وقضيت الليل مسهداً
أتململ على الفراش أزفر جوى ووجدأ .

وفى الصباح استقر بى رأى على أن ألقى تلك الجمرات
التي تتأجج فى صدرى ، وأن أذهب إليها فأفضى إليها بكل
ما فى نفسى وألقى إليها برأى فيها . . وألطمها كما لطمتنى .

وذهبت إليها . . فلقيتنى بنفس البشاشة والترحيب ،
وخلوت بها ، وبدأتنى بالسؤال عن سبب ذلك الحزن
والوجوم البادى على وجهى فقلت لها فى صوت مرتجف :
— أنت السبب .

— أنا ؟ .

— أجل أنت .

— إني لا أذكر أني فعلت ما يغضبك .

— بل فعلت ما مزقني وحطمني . . لقد خدعتني
وغررت بي . . لقد بديت لي أسمى وأطهر وأجمل قلباً من
سواك . . فوجدت نفسي أتردى في هاوية حبك وأتشبت
بك تشبث غريق بلوح من حطام سفينة . . وأتعلق بك تعلق
مجنون . . لقد غررت بي في اليومين اللذين صحبتك فيهما
ومنحتني ما ظننت أنك خصصتني به وحدي ، وبداء لي أنك
أحببتني كما أحببتك ولم يخطر ببالى أنك مخطوبة توشكين على
الزواج . . حتى أتيت بالأمس لأسألك الزواج مني ، ولكنني
وجدت أنني كنت عندك مجرد أداء لهو وتسلية . . وأن
صحبتك لي كانت إحدى الخيانات المتكررة التي تهديها إلي
فتاك المحبوب وخطيبك العزيز . . لقد جئت لك لأقول لك
حقيقة رأيي فيك ولأعتذر لك عن الحق الذي دفعني إلى أن
أتوهمك بتلك الصورة التي توهمتك بها . . وعن الغرور الذي
دفعني إلى أن أجعل منك نسيجاً وحدك . . شيئاً نقياً غير
هذه القذارة التي خلقت منها أنت وسواك .

وبهت الفتاة ، ولم تنبس بينت شفة ووجدتها تطرق

برأسها وخيل إلى أنى الملح في عينيها طبقة من الدموع تترقرق .
أقول خيل إلى .. فقد يكون مارأيت سراب مخدوع .
وغادرتها بلا كلمة .. ولا تحية .

وسرت في الطريق ، وأنا شاعر بأنى قد ألقيت عن
كاهلي ما أثقله .. وعن صدرى ما أحرقه وأججه .
أجل ! لقد انتهى أمرى معها .. واستطعت أن ألفظ
حبها مع الجمرات التى لفظتها من صدرى .

وتركت المدينة ذلك المساء عائداً إلى مكان دراستى ..
موقناً بأن القصة قد وصلت إلى نهايتها .. وأنى وضعت
بشورتي عليها خاتمة لها ، ولكنى استيقظت فى الصباح لأقرأ
فى إحدى جرائدنيويورك .. إن الفتاة (ا.س) وعمرها تسعة
عشرة سنة من كلية شيدبور قد انتحرت بإطلاق النار على
نفسها فى الساعة السادسة من صباح الأمس أى بعد مغادرتى
إياها بمدة لا تتجاوز الاثنتى عشرة ساعة .. وقيل فى خبر
الانتحار أن الأسباب لا تزال مجهولة .. ولكن المعتقد أنها
متعلقة بخلاف مع أحد أصحابها العديدين وقد أصيبت بعده
بنوبة يأس جعلتها تقدم على الانتحار .. وقد وجهت الصحيفة
نداء إلى كل من زارها أو قابلها فى اليوم السابق للانتحار
للاتصال بالمحقق .

ولا أظننى بمستطيع أن أصف لك الصدمة المروعة التى
أصابتنى بعد أن قرأت الخبر .

وإنى لا أخشى أن أتهم بشيء .. فلا أظن أن هناك من
سيفكر فى إلقاء التهمة على .. بل لا أظننى سأخطر قط
ببال أحد ممن حولها ، فما كانت علاقتى بها فى نظرهم سوى
علاقة عابرة طارئة .

ليس هناك أحد يمكن أن يتهمنى .. إلا إنسان واحد
هو أنا .

أنا يا أخى حزين ونادم ويائس .

حزين عليها لأنى ما زلت أحبها .. لقد تبدد من نفسى
كل غضب عليها .. بعد أن ذهبت من دنيانا هذه ..
وأصبحت أتلهف على رؤيتها وتقبيل يدها مرة واحدة ..
وأتمنى أن أجش على جدتها فأذرف عليه الدمع مدراراً .
ونادم .. لأنى أشعر بينى وبين نفسى .. أننى السبب
فى موتها .

أتراه الغرور الذى يدفعنى إلى هذا الإحساس ؟ .
أتراها كانت تحببى وأنى نزلت من نفسها منزلة من يدفعها
غضبه عليها إلى الانتحار ؟ .

مهما يسكن الأمر .. ومغرور كنت أم غير مغرور ..

إن ندمى شديد لأنى واثق من أنه حتى ولو لم أكن الوحيد
فى حياتها الذى وهبته نفسها ، والذى فتحت له قلبها ، فإننى
كنت الوحيد الذى صدمها برأيه فيها .. والذى واجهها
بحقيقة صورتها .

وإنى يائس .. لأنى لا أستطيع أن أفعل شيئاً .
فلا أنا بمستطيع إعادتها إلى حياتها .. ولا أنا بمستطيع
أن أساو حبها وأنساها .. ولا أنا بمستطيع أن أكفر عن
خطيئتى .. بل .. حتى هذه الخطيئة .
لست بمستطيع أن أقنع بها نفسى .
هل أخطأت ؟ .

هل كنت السبب فى قتلها ؟ .
هل كانت ثورتى عليها هى التى أودت بها ؟
هل ترانى كنت حقاً شيئاً هاماً إلى هذه الدرجة ؟ .
هل أنا المجرم الأول ؟ .

أجبنى يا سيدى .. إنى حائر تعس .
أكره أن أكون المجرم .. وأحب أن أكونه .
أكره أن أكون المجرم .. لأنى أكره الإجرام ..
ولأنى أكره أن أكون السبب فى قتل هذه النفس الحلوة
التي شغفت بها حباً .

ولكنى أعود فأتمنى أن أكون المجرم .. أتمنى أن أكون
حقاً الإنسان المهم فى حياتها والذي أحبته إلى الدرجة التى
بدفعها غضبه عليها إلى الانتحار .

أتمنى أن أكون كذلك .. حتى أوقن أنها كانت تحبني ،
والأ يكون انتحارها من أجل مخلوق آخر فى حياتها .. لا أعلم
عنه شيئاً .. وألا أكون لديها إلا نسياً منسياً .

أجبنى يا سيدى .. أرحنى !

هل أنا المجرم الأول ؟

ليتنى أكونه .

المخلص

ع . ح

يا أخى ماذا أقول لك .. وأنت تتمنى أن تكون

مجرماً .. حتى ترضى غرورك وكبريائك ؟

خل عنك أو هامك ..

أرح نفسك وانسها .. غفر الله لك .. ولها . وللمجرم

الحقيقى .



فهرس

٦ نساء

صفحة

١١		امراة مغرورة
٣١		مخدوعة
٤٩		طيبة
٦٣		آثمة
٨٣		منتقمة
٩٥		قاتلة

٦ رجال

١١٥		رجل مغرور
١٤١		مخدوع
١٥٩		طيب
١٧٩		آثم
١٩٩		منتقم
٢١٥		قاتل

شركة فن الطباعة
تبع في دار الطباعة في سنة ١٣١١ هـ